# المجاهد العقيد

# محمد الطاهر عبيدي

# الشهير بالحاج لخضر

## سيرته وجهاده وخصاله



جمع وإعداد وتحرير:

أ.د. مسعود فلوسي



**مشهد من تشييع جنازة المجاهد الحاج لخضر رحمه الله**
**يوم الثلاثاء 27 شوال 1418هـ، الموافق 24 فبراير 1998م**

# المجاهد العقيد محمد الطاهر عبيدي

## الشهير بالحاج لخضر

### سيرته وجهاده وخصاله

جميع الحقوق محفوظة

1439هـ - 2018 م

# المجاهد العقيد محمد الطاهر عبيدي

# الشهير بالحاج لخضر

## سيرته وجهاده وخصاله

جمع وإعداد وتحرير:

**أ.د. مسعود فلوسي**



وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

وسلم تسليما كثيرا.

قال رب العزة سبحانه وتعالى:

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

# الإهــداء

إلــى روح المجاهد الرمز

العقيد الحاج لخضر..

تحية تقدير وعرفان..

# تقديم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد..

فإن الاحتفاء بالعظماء وذكر مآثرهم والتعريف بمناقبهم، من شأنه أن يُحفز الهمم ويَستحث العزائم لتقفِّي آثارهم وترسُّم خطاهم والسيْر على نهجهم لتحقيق الأعمال العظيمة والآثار الخالدة.

كما أن هذا الاحتفاء بالأعلام الكبار يُعتبر دليلا على الوفاء لهم والعرفان لتضحياتهم وعدم التنكر لجميلهم، وتعريفا للأجيال بخصالهم ومآثرهم.

من هنا دأبت الأمم، على اختلاف مللها ونحلها، وتنوع أعراقها وألسنتها، على الاهتمام بسير أبطالها وأعمالهم الخالدة.

وقد ألهمنا الله عز وجل نحن الجزائريين أن نحفظ لأعلامنا وشهدائنا وأبطالنا أقدارهم، وأن نوالي ذكرهم، ونُشيد بخصالهم، ونخصص للمشاهير منهم أياما سنوية نحتفي فيها بذكراهم، ونجتمع لذكر مناقبهم وتعداد مآثرهم.

وتُعدُّ منطقة الأوراس من المناطق الجزائرية المتميزة بكثرة أبطالها الذين خطُّوا أسماءَهم بأحرف من نور في سجل الخلود، وتركوا لمن يأتي من بعدهم قصصا تُروى عن بطولاتهم النادرة ومآثرهم الخالدة.

ومن هؤلاء الأبطال؛ المجاهد الرمز العقيد محمد الطاهر عبيدي الشهير بالحاج لخضر رحمه الله، الذي استأثرت به رحمة ربه عز وجل منذ واحد وعشرين عاما، وتحديدا في الرابع والعشرين من شهر فبراير من سنة 1988.

وقد دأبت جامعة باتنة على الاحتفاء بذكراه كل سنة، وتحت إشراف السلطات المحلية للولاية، وبالتعاون مع مديرية المجاهدين. ويجري هذا الاحتفاء في قاعة المحاضرات الكبرى بكلية العلوم الإسلامية، بإقامة ندوة تاريخية يُستضاف فيها مجاهدون أو أساتذة باحثون في التاريخ للحديث عن مآثر الرجل وخصاله وأعماله الرائدة.

وقد كانت الذكرى العشرون لوفاة المجاهد الحاج لخضر رحمه الله، في فبراير من سنة 2018، مناسبة لإقامة ندوة تاريخية أشرف على افتتاحها والي ولاية باتنة السيد عبد الخالق صيودة الذي ألقى كلمة أشاد فيها بمآثر الرجل

وخصاله النادرة. كما تحدث بالمناسبة كل من مدير جامعة باتنة1 الأستاذ الدكتور عبد السلام ضيف وعميد كلية العلوم الإسلامية الأستاذ الدكتور عبد القادر بن حرزالله.

أما الندوة فقد ألقيت فيها مداخلتان؛ إحداهما للدكتورة جمعة بن زروال، والثانية للأستاذ الدكتور علي أجقو، وكلاهما من قسم التاريخ والآثار بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة باتنة1.

وقد رغبنا في جمع كل ما قيل في تلك المناسبة في كتاب، وأضفنا إليه مقالا سبق لي أن كتبته في الأسبوع الموالي لوفاة العقيد الحاج لخضر رحمه الله سنة 1998 ونشرته أسبوعية رسالة الأطلس التي كانت تصدر في باتنة حينئذ، في الأسبوع الموالي للوفاة مباشرة.

كما طلبنا في هذه السنة (فبراير 2019)، وبمناسبة الاحتفاء بالذكرى الحادية والعشرين للمجاهد المرحوم، من الأستاذ فرحات نجاحي، وهو مجاهد في أثناء الثورة ومعلم ومربي بعد الاستقلال ثم محامي بعد ذلك، طلبنا منه أن يكتب لنا ما يعرفه عن المجاهد الحاج لخضر على أن يُلقيه كمداخلة، فتفضل مشكورا بكتابة مقالة ضافية أدرجناها ضمن هذا الكتاب كذلك.

وإنه ليسرنا أن نقدم هذا الكتاب الموجز عربون وفاء وعرفان لروح المجاهد الرمز العقيد الحاج لخضر رحمه الله، من جهة، وتعريفا بخصال هذا الرجل ومآثره لطلبتنا وناشئتنا الذين يُخشى عليهم أن تفتنهم الأسماء الإعلامية اللامعة وتبعدهم عن أبطال بلادهم ورموز أمتهم وتُنْسِيَهم فيهم من جهة أخرى.

والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

**أ.د. مسعود بن موسى فلوسي**
عميد كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة1
باتنة في: الخميس 14 فبراير 2019

# الكلمات التي ألقيت بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة المجاهد الرمز العقيد الحاج لخضر رحمه الله

يوم: الثلاثاء 05 جمادى الآخرة 1439هـ،

الموافق 20 فبراير 2018

بقاعة المحاضرات الكبرى في كلية العلوم الإسلامية

جامعة باتنة1

# كلمة والي ولاية باتنة

## السيد عبد الخالق صيودة

(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) [الذاريات: 55].

لا أجد أصدق من هذه الآية لأفتتح هذا الخطاب في حق رجل تجلت فيه كل معاني الثورة والإخلاص، المجاهد الكبير عبيدي محمد الطاهر المدعو الحاج لخضر، الذي نجتمع اليوم لإحياء الذكرى العشرين لوفاته، ذلك المرابط الذي نذر حياته للجزائر في نبوءة فريدة تشع بالحكمة والنبوغ والقوة والعطاء.

إن الوقوف على مآثر الرجل وصفاته الخُلُقية التي يشهد له بها كل من عرفه، تجعلنا نقف وقفة إجلال وإكبار لمقامه العالي، حيث سجل في دفاتره العزة والأنفة، تضحيات جسام أعطى فيها بعدا خاصا لشخصيته الثورية التي طبعها بمواقف لا تُنسى إبان الثورة التحريرية وبعد الاستقلال، لتأخذ المعركة في عرفه بعدين أساسيين:

تمثل الأول في دوره الاستثنائي باعتباره قائدا للولاية التاريخية الأولى، ومن السباقين في التحضير للثورة النوفمبرية المجيدة، من خلال تأسيس خلايا سرية بمدينة باتنة، وجمع التبرعات والاشتراكات، وبث الروح الوطنية وأفكارها بين الناس، وحث الشباب على التعلم.

أما البعد الثاني في التاريخ النضالي للمجاهد الرمز، فهو تمسكه برسالة أول نوفمبر واستمراره في معركة البناء والتشييد ولعل هذا الصرح الذي يجمعنا اليوم شاهد لا يموت، على اعتبار أن المجاهد الحاج لخضر هو من وضع حجره الأول، وحرص على أن تخرج كل تفصيلة فيه بهذه الروعة والتناسق.

إن العبرة التي يمكن أن نستشفها من مسيرة البطل الرمز الحاج لخضر، لا تنصب ولا تفنى، حيث نجد في شخصية هذا الرجل تركيبة من النادر أن تتكرر، أين اجتمعت خصال الشجاعة والمروؤة، والإقدام والتضحية ونكران الذات، من خلال ثوريته الجامحة التي وقفت في وجه الاستدمار الفرنسي الغاشم، واستمرت بذات الجموح والقوة بعد الاستقلال، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على السريرة الطيبة والوطنية الخالصة والرجولة المتدفقة والإيمان العميق والإخلاص اللامتناهي وغير المشروط للوطن.

إن العقيد الحاج لخضر وأمثاله الذي حذوا حذوه في درب محفوف بالدماء والآلام والصمود والكفاح، يستحقون منا أن نقف وقفة المتأمل المقتدي المهتدي بنورهم الذي لا يُحجب.

وإننا كأمة تعيش تحديات ورهانات صعبة، يجب أن نتمسك بهذه العروة الوثقى، بتاريخ هؤلاء الرجال الذي صدقوا ما عاهدوا الله عليه، هؤلاء الجنود البواسل الذين لو تمعنا في مسيرتهم وسبرنا غور صبرهم وتمجيدهم تراب بلادنا الغالية، لتخلينا عن كل مصلحة فردية وعن أي أنانية غير مشروعة، ولوضعنا اليد في اليد وحافظنا على رسالة الشهداء وأمانة المجاهدين.

إن أي كلام يقال في حق هذا البطل الرمز، العقيد الحاج لخضر، مفخرة الأوراس وكل الجزائريين، يبقى مجرد محاولة لا يمكنها أن تفي بحق هذا الرجل الفذ، وإننا مهما أسلنا الحبر وأغدقنا القول سنجد أنفسنا عاجزين عن تكريمه.

فاللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله واجعله في جنات الخلد والنعيم مع أبرارك الصالحين.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.. تحيا الجزائر.

# كلمة السيد مدير جامعة باتنة1 الحاج لخضر

## الأستاذ الدكتور عبد السلام ضيف

عشرون سنة مرت على رحيل المجاهد الرمز العقيد محمد الطاهر عبيدي الشهير بالحاج لخضر رحمه الله..

هذا الرجل الفذ الذي أسْلمَ الروح لبارئِها ورَحَلَ من هذه الدار الفانية يوم الثالث والعشرين من شهر فبراير سنة 1998 بعد عُمُرٍ مَدِيدٍ تمَيَّزَ بجليلِ الأعمال وسَامِي الخِصَال..

عشرون سنة مرت كأنها لحظةٌ أو بضعُ لحظات، حيث لم تتمكن هذه المدة من أن تُنسينا هذا الرجل الذي ظل اسمُه يتردد على الألسنة وظلت أعماله تُذكر في كل مناسبة، فقد كانت جهودا رائدةً ومآثرَ فريدةً بَعَثَتْ عليها نفسٌ عاليةُ الهِمَّة بعيدةُ الطموح سَامِيَةُ المقاصد.

على الرغم من صعوبة الحياةِ وقساوةِ العيشِ وضخامةِ التحدياتِ وكثرةِ المُعوِّقات، لم يتردد هذا الرجل المتميز بإيمانه العميق وهمته العالية ووطنيته الدافقة، في أن يخترقَ الحواجز ويتقدمَ الصفوف ويرفعَ لواء الجهادين؛ الجهاد الأصغر زمن الاستدمار لطرد المحتلين وتطهير البلاد منهم، والجهاد الأكبر بعد الاستقلال لبناء البلاد وتشييد المؤسسات وتصويب النهج والمسيرة وتقديم الخبرة والمشورة.

ونحن إذ نجتمع اليوم لإحياء ذكرى هذا الرجل الكبير، إنما نجتمعُ لنستذكرَ مآثرَه ونتدارسَ مسيرتَه ونستلهمَ خصالَه التي هي موقعُ القدوةِ ومحلُّ الأسوةِ في حياته.

ولاشك أن أهمَّ ما يستوقِفُنا مِمَّا هو مَحَلٌّ للأسوة في مسيرة المجاهد الحاج لخضر رحمه الله؛ ذلكُمُ العطاءُ غيرُ المحدود الذي تجلى أوَّلا في مشاركتِه المبكِّرَة منذ الثلاثينات من القرن الماضي في مقاومة الاحتلال وحِرصِهِ خلال ثورة التحرير على تقديم روحِه في سبيل الله وفداءً للوطن.

وتجلى ثانيا في انسحابه من الحياة السياسية وتوجُّهِه إلى الأعمال الحرة بعد الاستقلال، ورفضِه الانخراطَ في سباق الحصول على الامتيازات المادية والمعنوية.

وتجلى ثالثا في انصرافِه إلى خدمة المصالح العامة من خلال المبادرة إلى بناء المؤسسات التربوية والتعليمية، ومنها جامعة باتنة، التي كان لجهوده وتدخلاته دورٌ كبيرٌ في افتتاحها سنة 1977، ثم تطورِها المستمر بعد ذلك.

وتجلى رابعا في تحمله لأمانة الشهداء المتمثلة في نقل رسالتهم إلى أبناء الاستقلال، وإطْلاعِهِم على تضحيات أولئك الرجال الأبرار الذين قدموا النفس والنفيس لطرد المحتلين وتحرير البلاد وتهيئة الظروف لأن يعيش الجزائريون في عزة وكرامة في بلادهم وأرضهم. وقد ظهر ذلك في ما كان يحرصُ عليه من حضور كل ملتقى أو ندوة أو محاضرة تُعقد للحديث عن الثورة، فكان - بعد أن يُتابعَ ويستمعَ - يتدخلُ ليصفَ بعضَ المعارك ويشرحَ بعض المواقف ويُوضحَ بعضَ الملابَسات التي أحاطتْ ببعضِ الأحداث في الثورة، إبرازا لبطولاتِ المجاهدين، ودفعا لما قد يَحُومُ حولَ بعضِ مواقفهم من شُبُهاتٍ أو تشويهات.

وتجلى خامسا في زُهْدِه في الدنيا، وحرصِه على أن يختِمَ حياتَه بعملٍ نافعٍ تجري له صدقتُه إلى يوم القيامة، وهو ما جعله يتبرعُ بماله وينفقُ كلَّ ما يملكُ في وضعِ حَجَرِ الأساس لبناء مُركب قلعة الإسلام الذي يضم كلا من مسجد أول نوفمبر ومعهد العلوم الإسلامية، ويقضي الثمانية عشر عاما الأخيرة من عمره (1980-1998م) في إنجاز هذا المشروع، يتابع بناءه ويجتهد في إتمامه، وقد سَعِدَ بافتتاح جُزْءٍ منه في حياته وهو معهد العلوم الإسلامية الذي بدأت الدراسة فيه سنة 1987، وأتم خلفاؤُهُ من بعدِه الجزء الثاني وهو مسجد أول نوفمبر الذي دُشن رسميا وبُدئت الصلاة فيه بصفة دائمة سنة 2003.

لا يَسَعُنا في هذا المقام إلا أن نرفع أكُفَّ الضَّرَاعّةِ إلى الله سبحانه وتعالى أن يرحمَ المجاهد الحاج لخضر، ويرحمَ كل الأبطال الذين استُشهدوا خلال الثورات التي اندلعت لمقاومة المُعتدين طيلة مرحلة الاحتلال، ويرحمَ كل المجاهدين الذين فارقوا الحياة بعد الاستقلال، ويُطيلَ أعمارَ من بقي منهم ويُمَتِّعَهُم بالصحة والعافية. كما نسأله سبحانه وتعالى أن يُوَفقنا إلى السَّيْر على نهجهم ويُعينَنَا على اقتفاء آثارهم.

تحيا الجزائر حرة أبية مجاهدة..

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار..

# كلمة العميد السابق لكلية العلوم الإسلامية

## الأستاذ الدكتور عبد القادر بن حرزالله

إن إحياء هذه الذكرى من قبل كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1، وبالتعاون مع مديرية المجاهدين وملحقة المتحف الوطني، وبإشراف السيد المحترم والي ولاية الذي نتقدم له بخالص الشكر وعظيم الامتنان على تفضله بحضور الأنشطة العلمية والتظاهرات الثقافية التي تنظمها جامعة باتنة1.

إن تنظيم هذه التظاهرة يأتي في إطار الوفاء لقيمنا الوطنية المفداة بقوافل الشهداء والتضحيات الجسام لأجيال المجاهدين وما صنعوه من مواقف بطولية ما زالت إلى اليوم محط أنظار الشعوب والحركات التحررية في العالم بأسره، ورغم تجارب الشعوب في هذا الإطار فإن بريق ثورتنا مازال أخاذا وجذوة نارها مازالت متقدة تقذف الرعب في قلوب المتربصين بوحدة هذا الوطن المفدى.

إننا اليوم، ونحن نحيي هذه الذكرى العشرين لوفاة هذه الشخصية الفذة، فإننا نستلهم من مسيرتها معان وعبر تعكس جوهر الوطنية ونبل الوفاء وسخاء التضحية، ونتعلم منها - ونحن الجامعيون - فلسفة البذل وحقيقة التوكل وأدب الوجود في وطن ينعم بالأمن والسلام.

نستلهم من مسيرة هذه الشخصية وتضحياتها قبل الاستقلال قيمة هذا الوطن وقيمة ما تحقق فيه من مكاسب وإنجازات متتابعة، وما يجب أن نتحلى به من غيرة وحرص على أمانة الشهداء في هذا المناخ العالمي الخاص وما يسفر عنه من تحديات معقدة ومتداخلة.

إن الأسرة الجامعية، أساتذة وطلبة وعمالا، إذ تحيي هذه الذكرى، فإنها تستشعر مسؤولية الانتماء لوطننا الحبيب وشرف وعزة الانتساب لسلالة الشهداء والمجاهدين.

ونستلهم من مسيرة هذه الشخصية الفذة بعد الاستقلال؛ ما تحلى به من فقه وفهم للحياة واستثمار عمره وماله وجهده لخدمة وطنه وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وهو منحى مشاهد محسوس في شخصيته، إذ يجمع الكثير ممن عايشوه عن قرب، على صدق أقواله، وتصديق أفعاله، وعمق إيمانه، وحرارة إخلاصه التي قد تفضي به إلى تقلب مزاجه وتصلب آرائه في الكثير من التحديات التي واجهها بعد الاستقلال في مسيرة البناء والتشييد، حيث تختلف التقديرات وتتعدد الرؤى.

ويبقى أهم معلم سخر له بقية عمره مع بعض الخيرين؛ هو تحمسه لتشييد قلعة الإسلام: مسجد أول نوفمبر والمعهد الوطني للتعليم العالي للعوم الإسلامية الذي فتح أبوابه مع نهاية الثمانينات لطلب العلم الشرعي والتفقه في الدين، حيث أمَّه الآلاف من الطلبة خلال هذه السنوات، وهو اليوم - والحمد لله - كلية مستقلة تحت مسمى كلية العلوم الإسلامية، بتعداد طلابي يقارب 4000 طالب وطالبة في مستويات الليسانس والماستر والدكتوراه. هذه الكلية اليوم تغطي حاجيات عدة قطاعات كالتربية والشؤون الدينية، وخريجوها لهم حضور جغرافي مميز على المستوى الوطني، يقدمون المعرفة الدينية الرسمية الصحيحة، ويذودون عن حياض مرجعيتنا الدينية الفقهية والعقدية، ويرسخون قيمنا الوطنية في أجيال الناشئة، وفق ما تلقوه من عروض تعليمية معتمدة من الجهات الوصية المختصة.

فهنيئاً للحاج لخضر بغرسه، وهنيئاً له بثماره اليانعة.

# المجاهد العقيد محمد الطاهر عبيدي
# المدعو الحاج لخضر رحمه الله
# سيرته وخصاله

بقلم:
**الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي**
كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة1 الحاج لخضر

في صبيحة يوم الثلاثاء 28 شوال 1428هـ، الموافق 24 فبراير 1998م، توفي المجاهد العقيد محمد الطاهر عبيدي المدعو الحاج لخضر، قائد الولاية التاريخية أوراس النمامشة، بعد حياة مديدة مليئة بالأعمال الكبيرة والمآثر الجليلة، وقد كانت وفاته على إثر نوبة قلبية ألمت به، حيث كان رحمه الله يعاني قبل ذلك بمدة طويلة من مرض في قلبه أعاقه في الكثير من الأحيان عن الحركة والنشاط، لكن دون أن يحد من همته أو ينقص من عزيمته. وبوفاته رحمه الله أسدل الستار على تاريخ مديد ومسيرة حافلة، هي حياة المجاهد العقيد عبيدي محمد الطاهر الذي اشتهر خلال الثورة وطيلة مرحلة الاستقلال باسم الحاج لخضر.

**الناس كإبل مائة:**

وإنه ليحضرني في هذا المقام حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه: (إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً) [رواه البخاري]، إذ يضرب النبي عليه الصلاة والسلام للناس مثلا بالإبل الكثيرة التي لا تكاد تجد بينها إلا واحدة أو لا تجد أصلا مما يمكن أن تعول عليها وتحمل عليها زاد راحلتك في سفرك.. وكذلك الناس، إنهم كثيرون، وهم عند الغنيمة واقتسام الأرباح أكثر وفي ازدياد مستمر، ولكنهم عند نداء الواجب وصيحة النفير قليلون، إذ أن أكثرهم يتوارى عن الأنظار حتى لا تلمحه الأعين ولا يُدعى إلى أداء ما هو مطالب به من واجبات.

والقلة من الناس هي التي نجدها عند اشتداد الخطوب واستفحال المحن، إنها وحدها تتحمل عن أمة بأكملها وتدافع عن وطن بأسره. أما عند البذل

والتضحية بالنفس والنفيس، فأقل بكثير هم أولئك الذين يستعدون لذلك ويظهرون الاستعداد والإقدام.

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله شعرا:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم  اللَّهُ يَعْلَمُ أَنّي لَم أَقُلْ فَنَدا
إني لأفتحُ عيني حين أفتحها  على كثيرٍ ولكن لا أرى أحداً

وفعلا، فالناس بأجسامهم كثيرون، لكن الذين يملكون نفوسهم ويستحضرون هممهم من هؤلاء الناس قليلون أو ربما معدومون أصلا.

وهكذا هي الحياة، إن أكثر الناس همهم بطونهم وغايتهم إشباع شهواتهم وتحقيق مصالحهم العاجلة، ولا يهمهم أن يقدموا شيئا لأمتهم أو يبذلوا في سبيلها شيئا أو يُضحُّوا من أجلها بشيء، وقليلون جدا هم من يدوسون على مصالحهم في سبيل مصالح أمتهم ويضحون بأموالهم وأنفسهم من أجل عزة أمتهم ورفاهيتها وصلاح أبنائها وأجيالها الناشئة..

ولقد كان الحاج لخضر رحمه الله من هذه القلة القليلة التي تقوم مقام الكثرة الكاثرة، كان رجلا بمائة أو بألف، في حين كان الألف من الرجال كلا شيء، وصدق من قال: "رجل كألف، وألف كأف". كان الحاج لخضر من تلك القلة من الرجال التي اتخذت من المصلحة العامة هدفا يُبتغى ومقصدا يُطلب.. فقد تقدم بنفسه وروحه يطلب الشهادة في سبيل استقلال هذا الوطن وتحرر أبنائه من أسر الاستعمار واستذلاله واستعباده.. وحين تحرر الوطن وتخلص من الاستعمار اختار أن يكون جنديا في ميدان البناء والتشييد، وأبى أن يركن إلى الراحة والخمول.. ولما رأى أن الأمور لم تعد تسير كما كان يأمل ويرجو قرر أن ينسحب من الميدان ويلجأ إلى العمل الحر يحفظ به كرامته وعزة نفسه، ويحافظ به على مبادئه وأخلاقه.

**مسيرة حياة:**

ولد محمد الطاهر عبيدي المدعو الحاج لخضر بقرية أولاد اشْليحْ القريبة من مدينة باتنة سنة 1916م، وقد فتح عينيه على الدنيا في عائلة فقيرة محرومة كان أفرادها يكدحون لكسب قوتهم من الفلاحة.. وقد بذل والده محمد عبيدي رحمه الله جهده واستفرغ وُسعه في سبيل توفير تربية آمنة لولده محمد الطاهر، في ظل تحديات كبيرة وعقبات جمة فرضها الاحتلال الاستدماري الفرنسي للجزائر.

بعد بلوغه سن الرشد، فكر محمد الطاهر عبيدي في وسيلة يوفر بها لنفسه ولأهله عيشة ميسورة، فرأى أن السبيل إلى ذلك هو الهجرة إلى فرنسا للعمل هناك، وهو ما حدا به إلى مغادرة مرتع صباه وترك أرض الوطن إلى بلد المحتل سنة 1936م، وكان يبلغ من العمر حينئذ عشرين سنة. غادر أرض الوطن حاملا في نفسه آلاما متأججة مصحوبة بالحنق والحقد والغيظ تجاه الاستدمار الفرنسي الذي حرم الإنسان الجزائري كل أسباب العيش الكريم في أرضه ودفع به إلى مغادرة وطنه.

في فرنسا اكتشف محمد الطاهر عبيدي الحقيقة المرة، حيث أثار انتباهه - من أول يوم حط رجله - فيها التفاوت الكبير بين الفرنسيين الذين كانوا ينعمون في بلادهم بمتاع الحياة ويتقلبون في رغد العيش ويستمتعون بالعزة والكرامة والرفاهية، وبين المهاجرين الجزائريين الذين كانوا يعيشون الضنك ويعانون القسوة ويواجهون الضياع والمصير المجهول، مثلهم مثل إخوانهم الذين تركوهم في الجزائر يعانون صور الاضطهاد والظلم والتعسف.

وهو ما كان له أثر عميق في نفس محمد الطاهر، مما دفعه إلى التفكير فيما يمكن أن يكون طريقا إلى تغيير هذه الحال وتبديل هذا الوضع المقلوب،

ومن هنا بدأ يتشكل لديه الوعي الوطني وينمو في نفسه الاهتمام بتحرير الإنسان الجزائري وطرد المحتل الغاشم من البلاد.

هذا التفكير بدأ يتفاعل ويزداد اتساعا وامتدادا، لما انخرط محمد الطاهر في الحياة العملية، حيث خبر بنفسه حياة الذل والاسترقاق وواجه فنون الظلم والتعسف والاستغلال البشع، فهو أولا لم يحصل على عمل إلا بعد جهد جهيد وعناء شديد، ولما حصل عليه لم يجده غير عذاب مستمر وجهد بلا مقابل، فهو رق حقيقي واستغلال لا مثيل له.

كان الحاج لخضر يعمل في مدينة تراون التي تبعد بحوالي 100 كيلومتر عن باريس، وفيها تعرف إلى مهاجر جزائري قدم إلى فرنسا من الغرب الجزائري اسمه أحمد، وكان يلتقي به بعد نهاية عمله اليومي، حيث يجتمعان في مقهى من المقاهي يتبادلان أطراف الحديث. في هذه اللقاءات كان أحمد الجزائري يحدث الحاج لخضر عن معاناة الجزائريين في بلادهم وفي بلاد محتليهم، ويؤجج في نفسه نار الحقد على الفرنسيين، ويحدثه عما ينبغي أن يقوم به الجزائريون من واجب الجهاد لتحرير بلادهم من هؤلاء المحتلين وإنهاء ما يقترفونه بحقها وحق أبنائها من جرائم بشعة يندى لها الجبين. وقد كان لحديث السيد أحمد أثره العميق في نفس الحاج لخضر، وهو ما جعله يفكر في الكفاح ضد الاستدمار ويترقب اللحظة التي تتاح له لحمل السلاح في وجوه المحتلين.

بعد أربع سنوات قضاها الحاج لخضر في فرنسا، وعلى إثر نشوب الحرب العالمية الثانية، ونتيجة اضطراب الأحوال في فرنسا وشلل الحياة الاقتصادية بها، عاد إلى أرض الوطن، أين بدأ مباشرة بالسعي إلى تحقيق حلمه في تطهير البلاد من المحتل، لذلك سعى إلى الانخراط في صفوف الحركة

الوطنية، من خلال الانتماء إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وكان أول نشاط قام به هو إنشاء خلية سرية للحركة الوطنية في مدينة باتنة سنة 1939م متكونة من مجموعة أشخاص لم يكن عددهم يزيد على خمسة عشر فردا. وقد استمر النشاط السري لهذه الخلية إلى سنة 1941، حيث بدأ التواصل بينها وبين سي مصطفى بن بولعيد، الذي وضع لها خطة عمل جديدة تتضمن برنامجا محددا.

في سنة 1942 أنشأ الحاج لخضر خلية سرية ثانية في عين التوتة، تحركت هي الأخرى وباشرت نشاطها في أوساط المجتمع بكل حذر وحيطة، واستطاعت أن تحقق الكثير من النتائج المهمة بفضل ما بثته من وعي في صفوف المواطنين بضرورة الثورة على المحتل والعمل على تحرير البلاد والعباد من سياساته الظالمة وإجراءاته التعسفية.

لكن على الرغم من التكتم والسرية اللذين حرص الحاج لخضر على إحاطة نشاطاته بهما، إلا أن أعين الاحتلال لم تكن لتغفل عنه فكانت تتابعه وتترصد تحركاته وأنشطته، ولذلك كان يتم توقيفه وإيداعه السجن ثم إطلاق سراحه، حصل معه هذا عدة مرات. هذه المضايقات التي كان يتعرض لها الحاج لخضر لم تكن لتفت من عزمه أو تحد من همته، فكان يواصل جهوده المكثفة مع رفاقه المناضلين لبث الوعي في النفوس ونشر فكرة الثورة على الاحتلال، مع أخذ الاستعدادات اللازمة التي كانت تتطلبها ثورة تصبو إلى تحرير البلاد من قبضة أبشع استعمار في العصر الحديث. هذه الاستعدادات التي ظلت تتم في مختلف المستويات وفي مختلف مناطق الوطن خلال عدة سنوات، دخلت مرحلتها الحاسمة حين صدرت الأوامر من القيادة التي تشكلت

لتأطير الثورة بشراء الأسلحة في بداية سنة 1953م، ثم ما تلاها من تجسيد عملي للاستعداد لإعلان الثورة وتنفيذ أولى عملياتها ضد المحتلين.

**الأعمال الثورية:**

كان الحاج لخضر واحدا من معاوني المجاهد مصطفى بن بولعيد وأصدقائه المقربين، حيث إن الصِّلاَتِ بينهما كانت قديمة والتعاون النضالي بينهما كان ممتدا عبر سنوات عديدة، وعندما اقترب موعد تفجير الثورة كانت مع الحاج لخضر مجموعة من المجاهدين تحت قيادته يبلغ عدد أفرادها خمسة وعشرين شخصا، حيث استطاعت هذه المجموعة أن تحصل على كمية معتبرة من الأسلحة واللباس العسكري. وقد كلفت مجموعة الحاج لخضر هذه ليلة أول نوفمبر بمداهمة الثكنة العسكرية بوسط مدينة باتنة، والتي كان فيها مركز للأسلحة. بعد دراسة دقيقة للثكنة، والحصول على كل المعلومات اللازمة عنها والمساعدة في اقتحامها والحصول على المبتغى منها، تم تنفيذ العملية كما خطط لها، إلا أن ظروفا حالت دون التمكن من الاستيلاء على الأسلحة التي كانت متوفرة بها. ومع ذلك فقد حققت تلك العملية أثرا نفسيا كبيرا، حيث أسقطت جدار الخوف من نفوس المجاهدين ودفعت بهم إلى المضي في طريق الثورة والجهاد، حيث انطلقوا بعد ذلك يحاربون جيش الاحتلال بعزيمة ماضية وهمة عالية، الند للند، دون خوف ولا وجل ولا تردد.

نفذ الحاج لخضر والمجاهدون الذين كانوا تحت قيادته، خلال السنوات الأولى من عمر الثورة، كثيرا من العمليات العسكرية ضد جنود الاحتلال وثكناتهم ودورياتهم العسكرية وكبدوهم الكثير من الخسائر البشرية والمادية، وكان الحاج لخضر خلال هذه السنوات يترقى في مراتب القيادة العسكرية حتى

أصبح قائدا للولاية الأولى التاريخية أوراس النمامشة برتبة عقيد. وفي سنة 1959 تم استدعاؤه من طرف قيادة الثورة في الخارج إلى تونس، التي ذهب إليها مكرها، خاصة وأنه كان يعلم ما يجري في الخارج من صراعات بين مسئولي الثورة من السياسيين والعسكريين، وقد بذل في تونس بعد وصوله إليها جهودا معتبرة للتقريب بين القادة المختلفين، وشارك في مؤتمر العقداء العشرة، وسافر من تونس إلى المغرب لاستقبال الزعماء الخمسة الذين كانوا في السجن بفرنسا بعد إطلاق سراحهم وترحيلهم إلى المغرب، كما شارك في مؤتمر طرابلس، ولم يستطع أن يعود إلى الجزائر إلا بعد إعلان الاستقلال.

**جهاد ما بعد الاستقلال**

في سنة 1962م حصلت الجزائر على استقلالها، وأدرك الحاج لخضر أن مهمته في تحرير البلاد قد انتهت، ولذلك قرر الانسحاب والتفرغ للعمل الحر، فترك وظيفته في الجيش وخرج إلى الحياة المدنية.

لم ينكفئ الحاج لخضر على نفسه، وهو يعيش حياته المدنية الجديدة، بل ظل وفيا لمبادئ الثورة ولنهج الشهداء، فلم يكن يفوت فرصة تسنح له إلا ويستغلها في تبليغ رسالة الثورة إلى الأجيال الجديدة وتحميلها أمانة الشهداء والمتمثلة في بناء الوطن وحمايته وحفظ كرامة وعزة أبنائه، حيث كان الرجل يحرص أشد الحرص على حضور كل ما يعقد من مؤتمرات أو ندوات أو ملتقيات تقام للحديث عن مآثر الثورة وبطولات الشهداء والمجاهدين، وكانت له فيها صولات وجولات وشهادات سجلتها أجيال من الشباب وأخذت منها العبرة والمغزى.

لكن ما أقض مضجع الحاج لخضر وجعله يشعر بالألم والأسى، شعوره وإدراكه بعد سنوات عديدة من الاستقلال والتحرر من الاحتلال أن الثورة، وإن تمكنت من تحرير الإنسان الجزائري من عبودية الاحتلال والاستدمار الفرنسي جسديا وماديا، إلا أنها لم تتمكن من تحريره فكريا وثقافيا. فالمؤسسات التي تركها المحتل، والترسانة الكبيرة من الموظفين الإداريين التي خلفها بعد أن كونها وربها، ومظاهر الفرنسة في المظهر واللسان، كل ذلك أدرك الحاج لخضر من خلاله، بحسه الفطري وبحبه للوطن، أن الاستدمار الفرنسي وإن خرج من الأرض، إلا أنه لم يخرج من القلب والروح واللسان.. وهو ما جعله يعزم على المرابطة في معترك جديد أخطر وأكبر ألا وهو معترك التحرير الثقافي والفكري للإنسان الجزائري.

التفت الرجل إلى ما حوله، فرأى المطار العسكري بباتنة الذي كانت تنطلق منه الطائرات الفرنسية لتصب نيرانها وقنابلها على الأرض والإنسان الجزائري خلال فترة الاحتلال، رأى هذا المطار ما زالت أرضيته وبعض مبانيه كما تركها المحتلون، فقرر أن يحول هذا المكان إلى مركز إشعاع تنطلق منه أضواء العلم والمعرفة وهدايات الإيمان والتقوى، وذلك من خلال إقامة مشروع حضاري يؤدي دورا في بناء العقول وتهذيب النفوس وتطهير الأرواح وتنشئة الأجيال الجديدة على حب الدين والوطن.

**مشروع قلعة الإسلام:**

عرض الرجل فكرة المشروع على جماعة من أصدقائه وخلصائه، فرحبوا بها وشجعوه على المضي فيها، وأعلنوا له استعدادهم على معاونته

ومشاركته في تحقيقها، وسرعان ما تم تأسيس الجمعية الدينية التي تكفلت ببناء مجمع أول نوفمبر "قلعة الإسلام".

أعلنت الجمعية عن نيتها وأفصحت عن مشروعها، ودعت الناس إلى البذل والعطاء.. ولما عرف الناس أشخاص القائمين على هذا المشروع، والذين كانوا يعرفون فيهم الإخلاص والصدق والتقوى والأعمال الخيرة والسبق في الجهاد، سرعان ما توافدوا زرافات ووحدانا، بل أفواجا وجماعات، بل سخر كثيرون منهم أنفسهم للتطوع بجمع الأموال والإسهامات من المدن والقرى والمداشر والمؤسسات الصناعية والتجارية والثقافية.

كان المشروع في أول أمره متمثلا في بناء مسجد ومدرسة قرآنية، ولكن لما رأى الحاج لخضر وزملاؤه في الجمعية إقبال الناس على المشروع وترحيبهم به وإسهامهم الكبير في انطلاقته، قرروا ترقية الفكرة إلى مشروع أكبر، ألا وهو تأسيس مسجد ضخم وإلى جواره جامعة إسلامية كبيرة لتخريج أجيال من حاملي الشهادات العليا في العلوم الإسلامية.

**خصال عرفناها في المرحوم:**

في إطار هذا المشروع عرفنا المجاهد العقيد الحاج لخضر رحمه الله وخبرناه واتصلنا به عن قرب، بعد تأسيس معهد العلوم الإسلامية، والتحاقنا به كطلبة ثم كأساتذة.. عرفنا المجاهد الحاج لخضر، فما رأينا فيه إلا كل صفات النبل والشهامة، وما وجدنا منه إلا كل أخلاق الرجولة والفتوة.

1- وأول هذه الصفات والأخلاق: **التواضع**، وهو خلق لا يتوفر إلا لِلْكُمَّلِ من الرجال، ولا يظهر فضله إلا على الأعلام من الناس، فقد يتواضع الإنسان لأنه لا يجد ما يحمله على الكِبر والاستعلاء، أما أن يتواضع رغم كل

ما يدعوه إلى الاستعلاء والتكبر فذلك من عظمة نفسه وعلو همته. ولقد كان الحاج لخضر من ذلك الطراز الفريد من الرجال الذين يسري التواضع في عروقهم ويصدر عنهم سجية وخلقة لا تكلفا وتصنعا.

رأيناه متواضعا وهو يجلس في مكتبه البسيط بمسجد أول نوفمبر، ورأيناه وهو يستقبل الأساتذة ويعامل الطلبة، ورأيناه متواضعا وهو يتصل بأفراد المجتمع ويطلب منهم الإسهام في بناء مشروع مجمع أول نوفمبر دون أن يرى في ذلك بأسا أو يشعر بنقيصة، ورأيناه كذلك متواضعا وهو يلبي نداء من يدعوه إلى المصالحة بين الأعراش والعائلات حين تستفحل أسباب الشقاق والخصام.

ورأيناه متواضعا وهو يستقبل في مكتبه من يأتيه راغبا في التطوع بماله لبناء المشروع، حيث كان يقبل منهم أي مبلغ يأتون به دون أن يعلق عليه مهما كان قليلا.

2- وعرفنا فيه كذلك صفة: **البساطة**، بساطة العيش، وبساطة المأكل، وبساطة الملبس.. بساطة لاحظناها عليه وهو يلبس القميص الأبيض ويحرص على ارتدائه ولا يدعه إلا نادرا.. ولاحظناها عليه وهو يسير راجلا من بيته إلى مكتبه دون أن يركب سيارته أو يكلف من يحمله في السيارة. ولاحظناها من خلال مكتبه البسيط الشديد البساطة الذي كان يستقبل فيه زواره ويباشر أعماله، ولم يفكر يوما في تزويده بالكراسي الفخمة والأرائك الوثيرة.

3- وثالثة الخصال التي عرفناها في العقيد الحاج لخضر: **التلقائية؛** فالرجل كان يلقى من يأتيه ودونما افتعال، ويبادله التحية بتلقائية، دون تفريق بين كبير أو صغير، ولا بين رئيس أو مرؤوس، ولا بين غني وفقير. وكذلك

كان يقوم إلى العمل بتلقائية ودون تكلف، فهو يقوم بما يستطيعه بكل قوته ويترك ما لا يستطيعه إن كان خارج إطار طاقته وقدرته.

كان الحاج لخضر يكره بتلقائية إذا ما رأى سببا يدعو إلى الكراهة، ويحب بتلقائية إذا ما رأى سببا يدعوه إلى الإعجاب والحب. وكذلك كان يتحدث بتلقائية حسب ما يبدو له دون أن يحسب حسابا لمن يحدث أو لما سيتحدث به، المهم أن يكون صائبا في نظره، ولم يكن يهمه أن يقول لكبير ما لا يرضيه، أو يقول لصغير ما يرتفع به مقامه وتعلو مكانته.

4- أما الخصلة الرابعة التي خبرناها في المجاهد الحاج لخضر، فهي صفة **الانضباط** التام، والمواظبة المستمرة، والمتابعة الدائمة للعمل، والتفاني فيه، دون كلل أو ملل، فلقد كان مشروع مجمع أول نوفمبر قطعة من نفسه، وفلذة من كبده. فمنذ ابتداء الأشغال فيه ظل مرابطا عليه ملتزما له، وبقي إلى آخر يوم من حياته مواظبا على الحضور إليه، متنقلا بين أروقة المعهد، متفقدا سير الأشغال بالمسجد.. ورغم نوبات المرض الشديدة التي كانت تنتابه بين الحين والآخر وتدفع به إلى ملازمة المستشفى، إلا أنه ما إن كانت تخف عليه تلك النوبات ويذهب خطرها حتى يعود إلى مشروعه مرة أخرى يتفقده ويستطلع أحواله..

ولا عجب أن يتصف العقيد الحاج لخضر بهذه الخصلة، وهو الرجل المؤمن الغيور الذي كان يواظب على أداء الصلوات في أوقاتها ويحرص على ألا تفوته صلاة في حينها، والجميع ربما يعلم أن الرجل لم يكن يتخلف عن أداء صلاة العصر والاستماع إلى الورد القرآني الجماعي في المسجد العتيق لسنوات طويلة.

5- وأما الخصلة الخامسة، فهي **الإخلاص** لوجه الله تعالى، والإخلاص - كما هو معلوم - نور يقذفه الله في قلب المؤمن، وسر بين العبد وربه، يحمله على القيام بالأعمال العظيمة دون أن يرى لنفسه حقا أو يسعى لها إلى هدف أو غاية من وراء عمله ذاك.

ولقد كان الحاج لخضر رحمه الله مخلصا لوجه الله تعالى فيما كان دائبا فيه من بناء مجمع أول نوفمبر وفي غيره من الأعمال التي قام بها في حياته، هذا ما بدا لنا من حال هذا الرجل، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا. فهو لم تكن تنقصه الشهرة ليسعى إليها، ولم يكن بحاجة إلى المال ليصبو إلى جمعه. وإنما أراد - كما كان يصرح دائما - أن يواصل مسيرة الجهاد المباركة التي كان قد ابتدأها مع رفاقه أثناء الثورة التحريرية، وذلك بنشر العلوم الدينية التي من شأنها أن تبث الوعي الصحيح بحقيقة الإسلام ومغزى رسالته الحضارية الشاملة التي تبتغي الخير لكل الناس بدون استثناء.

كان هذا الإخلاص مظهرا لكل عمل قام به الحاج لخضر رحمه الله، ولولا الإخلاص ما كان ليجشم نفسه الأعباء والمشقات والجهود المضاعفة لبناء مشروع خيري عظيم كهذا الذي نهض به وتحمل إنجازه والقيام به ودعا الناس إلى المشاركة فيه والإسهام في بنائه.

6- وأما الخصلة السادسة، فهي **الوفاء** لمبادئ الثورة وعهد الشهداء.. لقد ظل الحاج لخضر وفيا لمبادئ الثورة ولنهج الشهداء، ولم يكن يفوت فرصة تتاح له ليبلغ الرسالة إلى الأجيال الجديدة، ويحملها أمانة الشهداء، فكان حريصا على حضور كل المؤتمرات والندوات والملتقيات التي تقام للحديث عن مآثر الثورة وبطولات الشهداء والمجاهدين، وكانت له فيها صولات وجولات وشهادات سجلتها الأجيال وأخذت منها العبرة والمغزى.

ولقد ظل الحاج لخضر وفيا لمبادئه تلك، منافحا عنها، مدافعا عن المجاهدين في سبيلها، مشاركا في كل عمل من شأنه أن يُسْهِم في رقي الوطن وسلامته ونهوضه من كبوته وتخلصه من أزمته، ولَشَدَّ ما كان يؤلمه رحمه الله أن يرى ما كانت تتعرض له الجزائر في العقد الأخير من القرن العشرين من تخريب وتدمير، وكان يعتبر ذلك تراجعا عن عهد الشهداء وخيانة لمبادئ ثورة أول نوفمبر.

نسأل الله عز وجل أن يرحم العقيد الحاج لخضر والدكتور الطاهر حليس ويبعثهما في الصالحين، ويجزي بخير الجزاء كل من وقف بجانبهما أو بعدهما في بناء هذا المشروع العظيم. هو سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

# رجل من الأوراس هو أهْلٌ للتعظيم
# بفضل جهاده البطولي ونُبْل مَحَامِدِهِ

**بقلم: الأستاذ فرحات نجاحي**

مجاهد ومربي ومحامي

**1 ـ مقدمة**

من المفيد التذكير بأن إحياء ميلاد ووفاة الرجال العظماء في أي بلد هي من دلائل قوته وحيويته وأهليته للبقاء. وهو ما تمسكت به البلدان المتقدمة الضاربة في الحضارة بسهم وفير، فكيف بالأخرى الخارجة حديثا ـ ولو نسبيا ـ من ربق الاستعمار البغيض والتي لا يزال فيها ـ ربما ـ بقية قابلية له، ولو في ثوبه الجديد، كما قال الفيلسوف الجزائري الكبير مالك بن نبي رحمه الله.

وهنا بودي أن أشير إلى أن هذه المنطقة: منطقة الأوراس الأشم، والشلعلع الشامخ، كانت ولا تزال منبتا ومُتَرَعْرَعًا لشخصيات فذة في تاريخ الوطن. وبدون عقدة أو خلفيات أذكر ربما بطارق بن زياد الأمازيغي، صاحب الخطاب المعروف لجيشه، وقد تخطى البوغاز[1] الذي حمل اسمه: "البحر وراءكم والعدو أمامكم". وبالكاهنة التي كان لها شأن مع الفاتح أبي المهاجر حين عرض عليها الأمان فقالت كلمتها المشهورة: "إن الملكة هي التي تعرف كيف تموت".

وبعد هذه وذاك نتذكر المهدي بن تومرت، وعبد المؤمن زعيم الموحدين، ومحمد بن عبد الرحمن بن جار الله صاحب (البرمة). وغير بعيد أبطال ثورة التحرير الكبرى، وعلى رأسهم مصطفى بن بولعيد، الذي قال عنه مسئول الشرطة العام في القطر الجزائري عند اندلاع الثورة في نوفمبر 1954، وهو المدعو: فوجور، في كتاب حديث له: "الجزائر كانت ستستقل ربما في يوم من الأيام في أجل قريب أو بعيد، ولكن مع ذلك، لو لم يوجد هذا الرجل (بن بولعيد) لما سارت الأمور على النحو الذي سارت عليه". وقالت عنه الشرطة الفرنسية: إنه يساوي خمسة آلاف محارب.

---

1) البوغاز: المَضِيقْ.

ومن طينة هذا الرجل (مصطفى بن بولعيد) ومن رفاقه الأقربين؛ عبيدي محمد الطاهر المعروف وطنيا بالحاج لخضر.

## 2 ـ أول معرفة لي باسم هذا الرجل قبل شخصه

كان ذلك في نفامبر 1954، وثورة التحرير في بدايتها. كنت معلما تابعا لجمعية العلماء المسلمين ببسكرة، يزاملني الأستاذ المرحوم أحمد الطيب معاش بمدرسة التربية والتعليم هناك، وهو من معارف الحاج لخضر، وتربطه به قرابة القبيل بباتنة. ويومئذ أعطاني نبذة عن شجاعة الرجل وإقدامه، وروى لي قصة تأديبه لرجل درك بل لرجال درك فرنسيين أهانوا جزائريا أمامه بعين التوتة أو تلك الجهة، وهذا قبل انطلاق الثورة، وهو ما أدى به إلى النفي إلى تونس خارج الوطن من طرف سلطة الاستعمار.

ثم تعرفت على الحاج لخضر بعينه ـ كما يقال ـ بعد الاستقلال أثناء مؤتمر تحضيري لجبهة التحرير بباتنة سبق المؤتمر الوطني المنعقد بالعاصمة في 16 أفريل 1964. وقد عقد هذا المؤتمر التحضيري بقاعة الاجتماعات لبلدية باتنة، وحضرته كل إطارات باتنة القديمة التي كانت تضم بسكرة وخنشلة، وكان هذا اللقاء التاريخي يوما بل أياما مشهودة سَمِع فيها وسُمع الحاج لخضر، وكان من بين من وقع عليهم الاختيار لشغل مكان الصدارة في مؤتمر الجزائر لجبهة التحرير أولا، ثم لدخول المجلس الوطني التأسيسي (البرلمان) ثانيا.

ومن جهة أخرى جاءت فرصة محاولات تسجيل تاريخ الثورة في ثمانينيات القرن الماضي من منظمة المجاهدين بباتنة، فتهيأ لي الاتصال عن قرب بالحاج لخضر لمدة عامين أو أكثر، وحتى مناقشته في بعض الجلسات، وإن كنت أتهيب كثيرا من هذه المناقشة، لأنه صعب المراس إذا لم يقتنع، ولا

يقعقع له بالشنان ـ كما قال الحجاج بن يوسف يوما، علما بأن سمعته تسبقه إلى أي ناد أو لقاء يقصده. وقد حباه الله ـ إلى قوة البصيرة والعقل والإيمان ـ قوة الجسم التي لها ميزاتها الجلى التي لا يُستهان بها في المجتمع. وفي هذا المعنى أذكر ما قاله الشاعر العربي:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة          فلا تظنن أن الليث يبتسم

**3 ـ صفات الرجل ومميزاته:**

أ ـ إن الصفة الأولى التي اتسم بها الحاج لخضر هي **الشجاعة في أقصى وأنبل صورها**. وتتمثل على الخصوص في تحدي الخوف من الموت في سبيل مبدأ سام. وهذه الصفة لم تفارق الحاج لخضر طوال حياته قبل وأثناء وبعد حرب التحرير. ولازمته في الحل والترحال ـ كما يقولون. وقد اختاره القائد مصطفى بن بولعيد ـ لشجاعته وإقدامه ـ لإشعال أول فتيل للثورة بعاصمة الأوراس باتنة، واختار من يضاهيه لمدينة خنشلة: عباس لغرور، ولمن يضاهيهما فيها لمدينة بسكرة: الحسين برحايل رجل البارود والحسين عبد السلام (بولحية).

ولكن الشجاعة بالنسبة للحاج لخضر لا تعني التهور والإلقاء بالنفس إلى التهلكة ـ ليقال من ذا قالها ـ كما يقول الشاعر، بل تعني أخذ كل الاحتياطات واليقظة الكاملة وقراءة ألف حساب لمراوغات وحيل الخصم العدو، فإذا جد الجد وجاء وقت النزال والفصل حضرت الشجاعة وجاء النصر ولُعِنَ وهُزِمَ الجُبْنُ.

أذكر في باب الاحتياطات واليقظة ما جاء في كتاب من تأليف المؤرخ محمد عباس تحت عنوان: "في كواليس التاريخ (3) ص 121" ما رواه منصور

رحال المكلف بمحطة إرسال الإشارة بالولاية ـ 1 ـ سنة 1959/1958 تحت قيادة الحاج لخضر باتنة: "أن قوات العدو كانت تطارد مراكز القيادة في الأوراس باستمرار. فكان المركز لذلك، ومعه توابعه كمحطة الإرسال والمستشفى، في تنقل مستمر بمعدل كل شهرين تقريبا. وهذه الحركة لم تمنع الحاج لخضر من ترتيب البيت على مستوى القيادة ومركز الاتصال خاصة، مع فرض إجراءات أمنية مشددة. طبعا تعني هذه الإجراءات محطة الإرسال أيضا التي يتعين تفكيكها كل مساء بعد أداء مهمتها وإخفائها في أماكن آمنة لا يعرفها سوى المعنيين وعدد قليل من الجنود".

لقد كان يطبق قانون حرب العصابات بكل دقة وحصانة وشدة: كرّ وفرّ، ومسك بزمام المبادرة، وسرية كاملة في التنقل والمبيت والإطعام، ومحافظة ما أمكن على أرواح الجنود، وتثبيت للمعنويات، والتهيؤ لطول النفس بالكفاح في وجه عدو مستوطن لجوج لا يداري ولا يرحم.

وأخيرا يدخل في باب الحيطة واليقظة أن الحاج لخضر يكون قد حذر الشهيد بن بولعيد من مغبة الثقة في جهاز الإشارة الذي غنمه الفدائيون من طرد ألقت به طائرة للعدو، وهو الجهاز المشئوم الذي أدى انفجاره عند التشغيل إلى موت القائد وأربعة من رفقائه. ويكون قد نبهه إلى أنه هو من كان يوصي المناضلين بالتوقي من الوقوع في المحظور. ولكن لا ينفع حذر مع قدر ـ كما قيل ـ

ب ـ من صفات الحاج لخضر **الصراحة قولا وعملا،** قال عنه المجاهد الرائد هلايلي محمد الصغير في كتابه "شاهد على الثورة في الأوراس، ص 233، طبعة دار القدس العربي، 2012"، عند الحديث عن مهمة العقيد عميروش في الأوراس بعد مؤتمر الصومام سنة 1956. قال: "إنه معروف

بالواقعية والصدق"، ويشيد بالثقة التي يضعها فيه الجميع، وكان مضرب المثل بين أقرانه من ضباط جيش التحرير وجنوده في تجنب النفاق والمخادعة، وممن يصرح جهرا بما يفكر فيه الآخرون سرا، وهذا بلا مواربة أو مجاملة أو مداهنة أو حتى مقدمات.

روي عنه أنه صاح غير ما مرة في اجتماعات نظامية ضمت ضباطا كبارا لجيش التحرير، من ضمنهم سادة الحرب المعروفون بالباءات الثلاثة: كريم، بن طوبال وبوصوف، صاح فيهم: يا خونة أين أنتم ومصير البلاد؟ أين مخططاتكم؟ أين السلاح؟ أين نبذ الخلافات؟ أو ما في هذا المعنى. ومن صراحته أنه أعلن رفض التعاون مع المجاهد المشهور: قرين بلقاسم عندما عين في فوجه لانطلاق أول نفامبر بباتنة، قائلا أنه لا ينسجم معه. ولم يتراجع عن رفضه إلا بعد تدخل القائد مصطفى بن بولعيد المتمتع بالاحترام من الجميع. (ينظر كتاب: العقيد الحاج لخضر، لتابليت وبن فليس).

وسأروي أمامكم نادرتين تاريخيتين في باب الصراحة لهذا الرجل سمعتهما من المرحوم محمد الشريف جار الله الضابط 2 في جيش التحرير.

النادرة الأولى: أن الحاج لخضر زار والي العاصمة في بداية الاستقلال وهو المدعو: بالامان، وطلب من الأعوان إخطار الوالي بحضوره، ولكن الوالي تهيب من مقابلته فأوعز لأعوانه أن يعلنوا للزائر أنه غائب. ولكن الحاج لخضر دفع الأعوان بقوة ودخل على الوالي حيث هو، آخذا بتلابيبه ومعنفا له على الكذب والنفاق. واتفق في تلك الفترة أن اصطحب الرئيس بن بله الحاج لخضر في وفد زار القاهرة وعند عودة الوفد إلى الجزائر ونزوله بالمطار كان في جملة المستقبلين والي العاصمة، ولما مد هذا يده إلى الحاج لخضر العائد في

جملة الوفد كان كل رد هذا الأخير على اليد الممدودة بكل صراحة جزائرية: "روح أغسلها".

أما النادرة الثانية: فوقعت في مناسبة زيارة الرئيس بومدين لباتنة صحبة مجلس الوزراء في إطار برنامج التنمية للولايات. ويومئذ أفرد الرئيس للحاج لخضر مقابلة خاصة احتراما له، ولكن هذا بصراحته المعهودة كان مما لاحظه للرئيس أنه عين على رأس الدرك الوطني رجلا لا يملأ عين الحاج لخضر وهو الكولونيل أحمد بن الشريف. فكان مما لفظ به الحاج لخضر في وجه الرئيس: "أنت عينت لنا فرعون أكثر منك". ومع ذلك لم يغضب بومدين بل ضحك.

أما النادرة الأخيرة: التي عشتها شخصيا مع الحاج لخضر، فقد حدثت بمدينة أريس في نهاية السبعينات من القرن الماضي بمناسبة عقد ملتقى جهوي تاريخي دعي إليه عديد الإطارات الثورية ومن ضمنهم الحاج لخضر، كما حضر الملتقى علماء ومؤرخون محاضرون من ضمنهم الكاتب العالم المعروف أحمد بن ذياب. ولما أعطيت لهذا الكاتب الكلمة لتقديم محاضرته تدخل الحاج لخضر لرفض وجود هذا المحاضر بالمكان لأن اسمه حسب ما بلغ مسامعه أثناء الثورة ـ كما قال ـ تشم منه رائحة الخيانة، وقد بذل مؤطرو الملتقى ـ وكنتُ ضمنهم ـ جهودا جبارة لمحاولة إقناع الحاج لخضر باشتباهه في الاسم فقط زيادة على تهديد الملتقى بالفشل إذا هو أصر على طرد أحد المدعوين البارزين للمشاركة.

ج ـ من صفات هذا الرجل؛ **الإخلاص والتفاني في حب الوطن واحترام النظام**. فلم يسجل عليه أبدا دخول المهاترات والتجاذبات التي سادت صفوف حزب الشعب (انتصار الحريات الديمقراطية PPA-MTLD) الذي كان

عضوا بارزا فيه، وذلك في فترة الخلاف بين مصالي ولجنة الحزب المركزية قبل اندلاع الثورة (1954/1953)، بل لزم صف الحياد ولبى داعي الجهاد مع الملبين وأعد له مع من أعدوا. وكما قال مفدي زكرياء:

نطق الرصاص فما يُباح كلامُ وجرى القصاص فما يُتاحُ ملامُ

وغداة استشهاد مصطفى بن بولعيد على حين بغتة في جبل لزرق وظهور الخلافات البغيضة على من يخلف القائد الموهوب في 1956/3/23، كانت للحاج لخضر ـ حسب شهادات من حضر وأدلى به غير واحد ـ كانت له نصائح ومواقف لو اتبعت لتجنبت الولاية الأولى التاريخية الكثير من المشاكل التي عانت منها بعد ذلك، ولوقع حقن عديد الدماء الزكية التي سالت في غير ما كان من الحق أن تهدر له.

وفي مناسبة زيارة عميروش لمنطقة الأوراس في آخر 1956 لتبليغ قرارات مؤتمر الصومام، وبعد احتداد مشكلة الزعامات في هذه المنطقة مرة أخرى، كان موقف الحاج لخضر مثالا للتعقل والانضباط وجمع الصف وتجنب شماتة العدو والصديق معا. وحين استدعي من القيادة العليا للثورة إلى تونس سنة 1959 واستشهاد من تعين على رأس الولاية قبله: علي النمر في الداخل، ثم محمد العموري وأحمد نواورة في الخارج، أناب مكانه في قيادة الولاية بالداخل من يقوم مقامه حتى لا يحدث شغور يفرح به العدو. وجعل همه حين التحق بتونس الإعداد بكل حزم وعزم وصدق وإصرار للعودة إلى الداخل بالرجال والسلاح سنة 1960. وهذا رغم الطوق الحديدي والحزام الكهربائي الذي ضربته فرنسا على الحدود الغربية والشرقية للجزائر، متمثلا في خطي موريس وشال الجهنميين واللذين ازدردا والتهما آلاف المجاهدين. ومما سمعته شخصيا من أحد أساطين أول نوفمبر 1954، وهو المجاهد: الطاهر نويشي، في مناسبة

لقاء مع المجاهدين بقاعة بلدية باتنة في السبعينات من القرن الماضي، تحت إشراف مسئول القسمة يومئذ: محمد حقي، ما يلي فيما يخص الحاج لخضر. قال:

"كان الحاج لخضر - على خلاف غيره ممن استطابوا الخلود إلى بعض الراحة في الحدود الشرقية بتونس - يسعى بكل قوة في تجنيد المتطوعين من المجاهدين لاقتحام الأسلاك المكهربة والعودة إلى الجزائر بلا أي انتظار أو مهلة، لتعزيز صفوف الداخل وتزويدها بجرعة أسلحة وذخائر أصبحت مفقودة، فجند ما يزيد على 350 إلى 400 من الجنود بأسلحة مضاعفة وذخائر مهمة، وبدأ محاولاته كسر سَدَّي الموت على عدة ثغرات بعزيمة لا تكل. وكان دائما في المقدمة - بقامته الطويلة، الفارهة - لا يفتأ يستنهض الهمم، ورصاص العدو الذي يحصد صفوفنا يخطئه، لحسن الحظ، رغم أنه كان دائما في الواجهة. وقد اضطررنا - كما صرح الشاهد - من فرط العناء والحاجة حتى إلى ماء الشرب، اضطررنا إلى إصدار تعليمات لكل جندي أن يحتفظ - أكرمكم الله - ببوله في الشنة التي يحملها معه لشربه عندما يصل به العطش إلى حد الهلاك. وأخيرا - كما قال - وبعد أن فقد جيشُنا أثناء معارك الجبهة مع العدو أكثر من ثلثه، اضطر قائدنا الحاج لخضر إلى وقف الزحف - على مضاضة - بعد أكثر من شهرين على بدئه. وكانت للقائد بذلك صدمة أجبرت القيادة في تونس على إرساله إلى الخارج (سويسرا) للعلاج بعض الوقت. وتداول يومئذ على رأس الولاية الأولى كل من نائبي الحاج لخضر الرائد علي سوايعي والرائد الطاهر زبيري اللذان نجحا في تخطي عقبة السدين بقلة من الجنود، بعد أن حصدت الأسلاك المشئومة روح الرائد عمار راجعي أحد نواب الحاج لخضر. ويعود هذا الأخير - بعد رحلة العلاج - إلى الصفوف في تونس بنفس العزيمة، وتأتي مفاوضات أفيان ويتحقق النصر.

ومما أتذكره من أقوال هذا الشاهد - خارج موضوع سيرة الحاج لخضر - أنه حرر كراسة خاصة سجل فيها كل ما جرى بالولاية الأولى وبالحدود الجزائرية التونسية من أحداث سارة أو ضارة ومن معارك مع فرنسا ومع المنشقين (المشوشين)، على مر كل سنوات الكفاح التي سبقت خروج الجزائر من ربقة الاستعمار، وأنه سيقدم كل المعلومات التي سجلها بأمانة بالكراسة للعلن والنشر يوما. ولكن الموت أعجله إثر عملية جراحية فاشلة له، فضاعت كل المعلومات التي لا تقدر بثمن من تاريخ الوطن للأسف.

د/ من خصال ومحامد الحاج لخضر التي يُذكر بها؛ **أنه لا يُعاب عليه ما يقوم به عادة رجال الحرب من كره المثقف وإقصائه،** وربما الإيقاع به، فقد كان محبا للعلم وساعيا إلى نشره، وذلك قبل اندلاع الثورة. ويبدو هذا من إشرافه على تنظيم ما يمكن اعتباره دروسا لمحو الأمية لفائدة الشباب المعرَّض للانحراف، وهذا زيادة على توجيهات التكوين السياسي المكثف السائد في خلايا حزب الشعب الذي ينتمي إليه الرجل (تراجع الصفحات الأولى لسيرته في كتاب العقيد الحاج لخضر ـ تأليف تابليت عمر وبن فليس صالح). وبعد اندلاع الثورة نراه تأقلم تماما في تقاسمه المسؤولية في الكفاح مع رجل مثقف بارز هو أحمد الطيب معاش الكاتب والشاعر الذي التحق بالصفوف، ثم يمم شطر الخارج لتمثيل الثورة في الشرق بسوريا تحت إشراف عبد الحميد مهري، ليعين بعد الاستقلال سفير الجزائر بليبيا. كما أن الحاج لخضر لم يتململ أو يعارض أبدا تعيين مسئول مثقف عليه لا يتمتع بالأقدمية والنضج اللذين له في النضال، ويتعلق الأمر بالمرحوم حيحي المكي الذي فر من معتقل الجرف ـ ناحية المسيلة والتحق بصفوف الجهاد ليترقى بسرعة في سلم المسؤولية إلى رتبة نقيب مسئول منطقة. كما رحب أيما ترحيب بتعيين محمد العموري مسئولا

عليه قبل استدعائه إلى تونس وتورطه فيما سمي مؤامرة الكولونيلات المشهورة.

وأخيرا نرى في هذا الباب أن فكرة (الزرقوية La bleuite) التي مدت أطنابها وتركت أعنف آثارها الهدامة في الولايتين 3و4 وذهب ضحيتها المئات من الإطارات المثقفة ـ بفعل السموم التي زرعها العدو ـ لم تنجح بالأوراس في عهد الحاج لخضر. ولعل أفضل دليل محسوس على حب هذا الرجل للعلم والعلماء ما بذله من جهود جبارة ومساع موفقة في إنجاز صرح الجامعة الإسلامية بباتنة بعد استعادة بلادنا للاستقلال.

هـ / بقي أن أعرج في الأخير دون حصر على محامد أخرى للحاج لخضر هي: التدين من غير تنطع أو إفراط أو تفريط، والتواضع رغم خشونة المظهر، والحفاظ على المال العام، وحب العمل. ففي خصوص **التدين؛** عُرف عنه البعد عن سقطات الصبا والشباب، والمحافظة على الصلوات حتى وهو في أرض الفسوق والعصيان يوم هاجر إلى فرنسا بحثا عن مصدر القوت في بداية شبابه، والحج المبكر إلى بيت الله الحرام يوم كانت فيه هذه الشعيرة غير ميسرة إلا لبعض أعوان المعمر أو المترفين. ثم سعيه ـ بعد المشاركة الفعالة في تحرير الوطن ـ إلى تشييد مسجد جامع يتمتع بسمعة محمودة سائرة عابرة أرجاء الوطن، أطلق عليه اسما عزيزا على كل جزائري: أول نفامبر، تحاذيه وتزيد في قيمته جامعة إسلامية مرموقة كنت أشرت إليها.

والطريف في الأمر ـ إذا صح التعبير ـ أن ما يمكن نعته بمعجزة إنجاز الصرحين الذي كان مكلفا وباهظا، لم يكن إلا ثمرة التطوع من الشعب مالا وجهدا عضليا وتخطيطا، بفضل التوجيه والمتابعة من الرجل، ولا أعلم إذا كانت الخزينة العامة قد دفعت فلسا واحدا في المشروعين.

ولا بأس أن أشير إلى نادرة تاريخية تبين **حرص** الحاج لخضر على **المال العام**؛ ما جاء على لسان المجاهد منصور رحال مسئول محطة الإشارة في الولاية الأولى، والمشار إليه سابقا، وكان يُطلق عليه في الثورة اسم السعيد بن عبد الله، قال: "حَمَل بريدُ الولاية ذات مرة جرائد قديمة، فأخذت بعضها لأطالعها ليلا على ضوء شمعة باهتة... وذات ليلة كنت منهمكا بالمطالعة في مخبئي مع رفاقي، إذ داهمنا قائد الولاية بالنيابة (أي الحاج لخضر) مزمجرا مؤنبا: أطفئوا هذه الشمعة أيها الخونة، كيف تستبيحون لأنفسكم تبذير مال الشعب؟" (ص 125 من كتاب: ديغول والجزائر، دار هومة، 2007، لمحمد عباس).

أما في خصوص **حب العمل** ونبذ التواكل والكسل في سيرة الرجل؛ فالمعروف عنه أنه لم يتوان عن ذلك يوما، ولا كان مُعَوَّله في العيش على مرتب أو ريع يتلقاه من النظام أي الحزب أو الدولة أو غيرهما، بل خاض مع الخائضين في التجارة والصناعة والفلاحة بعد الاستقلال باحثا عن الرزق الحلال، أسوة بالعظماء من أصحاب الرسول الأعظم محمد ﷺ، أمثال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وأبي عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم.

### 4 ـ خاتمة: العقيد الحاج لخضر في الميزان:

لست مؤرخا، ولا لي نصيب علمي في مادة التاريخ حتى أقيم مسار رجل بقامة الحاج لخضر. ولكني مع ذلك سأدلي ببعض الملاحظات العفوية في هذا الباب إن صوابا وإن خطأ، فأقول:

ـ مما يُلام عليه الحاج لخضر رحمه الله الخشونة في التعامل، وبعض العطف على العشير[1]، والبُعد عما يُسمى بالدبلوماسية، مما خلق له خصومات

1) العشير: القريب.

هنا وهناك مع من يتعاطون السياسة، وحتى من غيرهم، خصوصا مع ما يبدو عنه من مظاهر القساوة قولا وعملا عبر ممارسته المسؤولية وحتى خارجها. أذكر أمثلة على ذلك: المعاملة القاسية التي تلقاها في عهده المجاهد الضابط الشهيد عبد المجيد عبد الصمد الذي كان يلقب بأسد شليا، وقد حاولت فرنسا أن تزج به ظلما في حملة (الزرقاوية) التي نفذتها مصالح المكتب الخامس الفرنسي الذي يشرف عليه الكولونال: قودار والذي نجح جزئيا في مهمته بالولايتين 3و4، كما سبق القول. وقد بُرئت ساحة هذا الشهيد بعد التحقيق، ولكنه لم ينس التهمة الملفقة له والمعاملة التي عانى منها جراءها، وجعلت منه خصما لدودا للحاج لخضر الذي ربما دار في ذهنه تصديق التهمة قبل التحقيق إزاء بطل في الجهاد من طينة أسد شليا.

كما أذكر أن الحاج لخضر عين كلا من الإطارات: محمد الصالح يحياوي، وعيسى بخوش، وإسماعيل شعبان، ومسعود بن عماره، وعبد المجيد عبد الصمد بالمنطقة -6- للولاية أي منطقة تبسة، وكأنه في اعتقادهم قد دفع بهم إلى الموت انتقاما، لأن هذه المنطقة كانت خطيرة للغاية، والتعامل مع سكانها من قبيل النمامشة على الخصوص صعب للغاية، فتذمروا من تصرفه معهم وأسرُّوها إلى حين (تراجع: مذكرات الرائد مصطفى بن النوي - طبعة دار الهدى). وقد قرأت في كتاب عن الثورة [لا أتذكر عنوانه] أن القائد عميروش التمس من الحاج - في مناسبة اجتماع عقداء الداخل بتراب الولاية في سنة 1958 - أن يسمح للجنود بالتدخين بعد التعب الذي كانوا يعانون منه أثناء التنقل والحراسة والمواجهة. مما يدل على شدة وصلابة الحاج لخضر في تنفيذ التعليمات النظامية في شأن التدخين وغيره. وسمعت مجاهدا توفي مؤخرا هو الصالح دلندى - فيما أظن - يروي أنه اتفق أن خاض معركة ومعه في موقعه

القتالي مجاهد آخر ضمن كوكبة من الجنود تحت قيادة الحاج لخضر الذي لم يكن بعيدا عنهما في المكان، قال: "وكانت طائرة فرنسية من نوع ت6 الصفراء تقنبلنا مارة فوق الموقع الذي به قائد الكوكبة لمرات، فاتفقت مع الجندي الذي معي في الموقع أن نطلق عليها عند اقترابها بسلاحينا من نوع (فارا) - الأمريكي الصنع والقوي الفعالية - طلقة واحدة في نفس الوقت من السلاحين، وهو ما نفذناه فعلا وأصبنا الطائرة في المقتل، فـ(دخنت) - كما قال - وابتعدت هاربة لتسقط بعيدا أو تهبط في مطار معين وهي على وشك الانفجار والتحطم". قال الراوي: "فلما انتهت المعركة بأقل الخسائر من جانبنا، نادانا الحاج لخضر مهنئا قائلا: أنقذتمونا من هذه المصيبة. وبما أنه كان يعرف – لاشك - أننا من هواة التدخين سرا، فقد بشرنا بأن لنا أن نفعل ذلك جهرا دون تثريب في ذلك اليوم".

وسمعت شخصيا الحاج لخضر يوما من الأيام - صدفة - يصرح عن السياسيين وممارسي الدبلوماسية - محليين وغيرهم - سمعته يقول بالحرف الواحد تقريبا: "تبا لهؤلاء المنافقين (الخونة) من أبناء (الفاعلة) يُؤَمِّنون على كلامي ويُشيدون باقتراحاتي أثناء حضوري، ثم يفعلون ما يحلو لهم (إيديروا رايهم) في غيابي".

وفي التعليق على الملاحظات السابقة يجب القول أو الرد بأن للحاج لخضر عذره، لأنه جبل على الصرامة، ولا يمكن أن يُنتظر منه المداهنة أو المراوغة أو المجاملة فيما هو مقتنع بصوابه. وهذا في الحقيقة لا يعتبر عيبا أو سبة بالنسبة لرجل حرب نظيف غير ملوث بنفاق أو خبث أو ماض أو حاضر مشكوك فيه وغير مصون، وعطفه على القريب قبل البعيد في بعض الأحيان فقط يعود في الحقيقة إلى قضية الثقة لا أقل ولا أكثر. ثم إن فترة الحرب هي

غير فترة السلم؛ فالشبهة في زمن الحرب لا تنتظر التحقيق الطويل والتريث المفروض في زمن السلم ربما لتجميع الأدلة المقنعة والمحاكمة المقبولة، خصوصا مع ظروف حرب العصابات ضد خصم استعماري أطلق عليه البشير الإبراهيمي يوما من الأيام "الاستعمار الأزرق".

وتحضرني بالمناسبة صورة تاريخية لداعية وصانع الدولة العباسية: أبو مسلم الخراساني الذي كان – كما قال المؤرخون - يعدم على الشبهة ولا يتردد في التنفيذ إذا عزم. وقالوا عنه، وقد عرض عليه الاطلاع على كتاب حرره عبد الحميد الكاتب المشهور، موجه إليه من آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، يحاول به - أي بالكتاب المحمول على صهوة جياد لثقله - أن يثنيه عن الدعوة لبني العباس - قالوا عنه - أي أبي مسلم - أنه أمر بحرق الكتاب دون قراءة محتواه، خوفا من التأثر بما جاء فيه، وهذا بعد أن اقتطع منه لفافة جلد كتب عليها بيتا شعريا معروفا جوابا للخليفة الأموي:

محا السيفُ أسطارَ البلاغة وانتحى عليك ليُوثُ الغاب من كل جانب

والحديث قياس، كما يقول عامة الشعب الجزائري.

وأختم الموضوع بقوله تعالى: [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ]، وما جاء في قول رسول الله ﷺ: "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ" [رواه البخاري ومسلم]..

حيا الله الشهداء ورحمهم وبياهم، وحيا الله المجاهدين الصادقين بعدهم من أمثال الحج لخضر، وعاشت الجزائر، والسلام.

# النضال العسكري للمجاهد الحاج لخضر في مدينة باتنة وجبال الأوراس 1954 - 1958

إعداد:

**الدكتورة جمعة بن زروال**

قسم التاريخ والآثار – جامعة باتنة1

**مقدمة:**

أنجبت الثورة الجزائرية أبطالا من الرجال والنساء قدموا حياتهم وأموالهم من أجل رفع الظلم والقهر والاضطهاد الذي مس الجزائر بسبب الاستعمار الفرنسي، وقد دام هذا العناء مدة طويلة فكان لابد من وضع حد نهائي له على يد أبطال أشاوس نذروا أنفسهم في سبيل الله لتحرير الوطن، وكان من أمثال هؤلاء الأبطال محمد الطاهر عبيدي المدعو – الحاج لخضر-.

- فكيف برز النضال العسكري للمجاهد الحاج لخضر في منطقة الأوراس؟

- وما أهم المعارك التي خاضها وما رد فعل الاستعمار الفرنسي؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة يجدر بنا أولا أن نعطي لمحة عن نشأة المجاهد الحاج لخضر والعوامل المؤثرة في تكوينه السياسي.

**1/ مولده ونشأته ونضاله السياسي الوطني قبل اندلاع الثورة:**

ولد المجاهد الحاج لخضر سنة 1916 بقرية أولاد شليح قرب باتنة، في أسرة فقيرة ماديا لأبوين هما محمد وفاطمة عبيدي وتتلمذ في مسقط رأسه على حفظ القرآن، وكغيره من الأطفال امتهن في صباه ومقتبل شبابه ما تيسره له من الأعمال المتواضعة التي كان يوفرها محيطه الذي يتميز بالفقر والحرمان.

في سنة 1936 سافر إلى فرنسا طلبا للرزق واستقر بمدينة ترواي[1] واشتغل لدى مقاول فرنسي يملك شركة للأسلاك الكهربائية،عمل في فرنسا

---

[1]) مدينة فرنسية تبعد عن باريس بحوالي 100 كلم.

وبدا يشعر بالفروق بين المجتمع الجزائري والفرنسي ويقارن بين رخاء فرنسا والفقر والحرمان الذي يتخبط فيه الجزائريون في وطنهم[1].

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية عاد الحاج لخضر إلى أرض الوطن سنة 1939 وواصل نضاله السياسي كمناضل في الحركة الوطنية إذ أسس أول خلايا سرية بمدينة باتنة سنة 1939.

كانت تعقد اجتماعات المناضلين في مدينة باتنة في دار مزيان لحلاوجي ودار إبراهيم العدوي يدرسون أوضاع المناضلين التابعين لحزب الشعب، وكانوا باتصال مع القائد مصطفى بن بولعيد. من بين المناضلين البارزين في الخلية الحزبية بمنطقة باتنة: الحاج لخضر، علي نمر[2]، محمد حرسوس، عبد الصمد عبد الحفيظ... في سنة 1941 سلم لهم مصطفى بن بولعيد برنامجا وطنيا جديدا يتضمن ما يلي:

- تقوية وتوسيع الخلايا السرية للحزب.
- اختيار العناصر الفعالة والقادرة علي أداء المهام الصعبة القادمة.
- جمع الأموال والتبرعات من المناضلين المنخرطين.
- القيام بالتوعية وبث الأفكار والروح الوطنية في أوساط الشعب.

---

[1]) عمار ملاح، قادة جيش التحرير الوطني الولاية الأولى، دار الهدى، عين مليلة، 2008، ص، 224.

[2]) علي نمر: ولد يوم 16 مارس 1925 في مشتة أم الرخاء بدوار حيدوسة (مروانة). حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى باتنة ليواصل تعليمه في مدرسة الأهالي باللغتين العربية والفرنسية. انضم إلى حزب الشعب الجزائري سنة 1943 بباتنة، انخرط في الفريق الرياضي الباتني لكرة القدم ما بين 1944-1948. هاجر إلي فرنسا سنة 1948 بهدف تجنيد المواطنين. التحق بالثورة بجيش التحرير في مارس 1955. كان مسؤول ناحية برتبة ملازم ثاني، ثم مسؤول المنطقة الثانية برتبة نقيب سنة 1957، ثم عضو قيادة أركان الولاية الأولى برتبة صاغ أول – رائد. استشهد في 6 جوان 1958.

- التكفل بعائلات المناضلين المسجونين[1].

بعد الأزمة التي عرفتها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية خلال سنة 1953-1954 قررت لجنة المنظمة الخاصة الإعلان عن نفسها تنظيما ثالثا لا ينتمي إلى أي من التنظيمين المتصارعين، وهي اللجنة الثورية للوحدة والعمل (مارس 1954) والتي قررت التحضير الفعلي للثورة التحريرية من خلال القيام بالأعمال التالية:

- إحصاء عدد المناضلين الملتزمين والمؤيدين للثورة.

- إحصاء عدد الأسلحة التي يملكها المناضلون وأفراد الشعب من بنادق الصيد.

- شراء اللباس العسكري وأدواته.

- إنجاز خرائط وقائمة بأماكن المخابئ في الجبال، ومراكز العدو الفرنسي الشرطة ورجال الدرك وحراس الغابات[2].

انعقد في مدينة باتنة وضواحيها عدة اجتماعات للتخطيط للثورة المسلحة أهمها:

ا/ اجتماع قيادة الحزب بمدينة باتنة في ربيع 1954 بدار المناضل المسعود بن العقون[3] بحي الزمالة حيث حضر الاجتماع كل من مصطفي بن

---

1) عمار ملاح، مصدر سابق، ص 225-226.

2) عمر تابليت، الأوفياء يذكرونك يا عباس، مطبعة عمار قرفي وشركائه، باتنة، 2011، ص، 23 - 24.

3) المسعود بن عقون: من مواليد 1895 بدوار اشمول بأريس،عرف بنشاطه السياسي المبكر في منطقة الاوراس، إذ يعود له الفضل في إرساء تنظيم جمعية العلماء المسلمين بالأوراس، ثم حزب الشعب. ساهم في انطلاقة أول نوفمبر 1954 وتجند في صفوفها، فخاض ضمن فوج أريس عدة هجمات، في 1955 كلف بنقل الثورة إلى ناحية سطيف، قبض عليه في معركة سنة 1958 ولم يطلق سراحه إلا في سنة 1961، فعاد إلى باتنة وخضع للإقامة الجبرية إلى غاية الاستقلال، توفي سنة 1975.

بولعيد وعاجل عجول[1]، طاهر نويشي[2]، عباس لغرور[3]، مصطفى بوستة[4][5].

ب/ اجتماع ضيعة بن بولعيد بتازولت بتاريخ 30 سبتمبر 1954، تحت إشراف بن بولعيد، وقد حضر هذا الاجتماع نفس القادة الذين شاركوا في اجتماع الزمالة وحدد فيه إتمام الاستعدادات لتفجير الثورة.

ج/ اجتماع قرية لقرين 17 أكتوبر 1954 قرب الشمرة حددت فيه الأهداف العسكرية والمدنية وقدم رؤساء الأقسام قوائم المناضلين مصنفة إلى ثلاثة أصناف[6]:

---

1) عاجل عجول: ولد سنة 1923 بالدرمون بدوار كيمل. درس في الكتاتيب وحفظ القران، انتقل إلي قسنطينة لدراسة اللغة والدين في مدارس جمعية العلماء المسلمين. ساهم في التحضير للثورة التحريرية في منطقة الاوراس. تقلد مهمة مسؤول سياسي نائب شيحاني بشير، ثم تقلد مسؤولية الولاية الأولى بعد استشهاد بن بولعيد. حكمت عليه اللجنة الموفدة من قبل مؤتمر الصومام بالإعدام بسبب الصراعات التي عرفتها المنطقة بعد وفاة ابن بولعيد. استسلم للاستعمار الفرنسي لكنه ضل صامتا، بعد الاستقلال سجن في سجن تازولت ثم أطلق سراحه. توفي سنة 1992 بباتنة.

2) طاهر النويشي: من مواليد 1915 بدوار كيمل بآريس، انخرط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وأشرف على قسمة لقرين، وأسهم في الإعداد للثورة بالأوراس، وحضر الاجتماع ليلة الفاتح نوفمبر 1954 في دار بولقواس، حيث كلف برئاسة الفوج والتوجه إلى باتنة لتنفيذ العمليات العسكرية، وفي سنة 1957 ذهب إلى تونس في مهمة، وبقي هناك إلى غاية الاستقلال، وبعده عين مسؤولا للمجاهدين بولاية باتنة، توفي سنة 1972.

3) عباس لغرور: من مواليد 1926 بدوار انسيغة بخنشلة، انضم الى حزب الشعب 1946، شارك في مظاهرات 8 ماي 1945، في ليلة الفاتح نوفمبر 1954 هاجم على الثكنات في خنشلة، تم اغتياله في 20 أكتوبر 1956.

4) مصطفى بوستة: من مواليد 1925 بقرية الهارة دائرة تكوت، باتنة، انخرط في حزب الشعب 1942، عضو في حركة انتصار الحريات الديمقراطية بمنطقة آريس، واصل العمل مع بن بولعيد في ميدان النشاط السياسي والتوعية الشعبية، حضر اجتماع ليلة الفاتح نوفمبر 1954، نجا من محاولة اغتيال في الصحراء 1959، عاد إلى الاوراس، وبعد الاستقلال عاش بعيدا عن الحياة السياسية، توفي في سبتمبر 1995.

5) زايد غسكالي، بوعريف تاريخ صمود، مطبعة عمار قرفي وشركائه، باتنة، 2011، ص 15.

6) محمد الصغير هلايلي، شاهد على الثورة في الأوراس، دار القدس العربي، الجزائر، 2012، ص، 63-68.

**الصنف الأول:** المناضلون المدربون جيدا والذين يمثلون النخبة لاستعدادهم التام نفسيا وجسديا لحمل السلاح.

**الصنف الثاني:** المناضلون الذين سيكونون بمثابة احتياطي لتطعيم الأفواج المقاتلة أو تكوين أفواج جديدة بعد توفير السلاح.

**الصنف الثالث:** المناضلون الذين اختيروا خصيصا ليبقوا في كنف السرية من أجل تأطير المواطنين وجمع المال والمؤونة والدواء والتكفل بالإعلام والجوسسة والعمليات الفدائية[1].

انخرط الحاج لخضر في خلية مدينة باتنة للتحضير للثورة حيث أوكلت له مهمة تفجير الثورة بالقيام بعدة هجومات على مراكز العدو الفرنسي في المدينة.

## 2/ دور الحاج لخضر في هجومات ليلة أول نوفمبر 1954 بباتنة:

كانت انطلاقة الثورة في الأوراس قوية ومنظمة، لقد أتم مصطفى بن بولعيد ومساعدوه تحضيراتهم وحددوا مناطق العمليات العسكرية وأهدافها[2].

في ليلة 31 أكتوبر 1954 كانت أفواج المجاهدين قد تجمعت في دشرة أولاد موسى[3] وخنقة لحدادة[4]، حيث قام بن بولعيد وبشير شيحاني[5] بتوزيع

[1]) محمد زروال، النمامشة في الثورة، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 79.

[2]) عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية 1962/1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 21.

[3]) دشرة أولاد موسي: تقع أسفل جبل اشمول قرب أريس.

[4]) خنقة لحدادة: تقع قرب فم الطوب بضواحي أريس.

[5]) بشير شيحاني: ولد في 02 أفريل 1929 بالخروب بنواحي قسنطينة، التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية، ثم التحق بزاوية سيدي حميدة لتعلم القران واللغة العربية، ألتحق بمتوسطة جول فيري وتحصل علي شهادة الأهلية، شارك في التحضير للثورة في منطقة الأوراس بحضوره لاجتماع أكتوبر 1954، عين في جانفي 1955 على رأس قيادة المنطقة الأولى، قاد معركة الجرف. استشهد في 02 أكتوبر 1955.

السلاح علي المجاهدين[1]، كان فوج مدينة باتنة الذي يشارك فيه المجاهد الحاج لخضر أكثر الأفواج عددا حيث خصص له مصطفى بن بولعيد أربع مجموعات بإجمالي 60 رجلا تم اختيارهم بعناية يقودهم علي بعزي[2] ومحمد الشريف بن عكشة[3]، وكانت الأهداف تتمثل في الثكنات ومراكز الدرك ومقر الدائرة[4]، ويدعم هذه المجموعة رجال الطاهر النويشي وبلقاسم قرين[5] والحاج لخضر المكلفين بتفجير محطة البنزين المقابلة لمحطة القطار ومخزن الأسلحة العسكرية[6]، كان محمد الصغير عزوي المكلف بإرشاد المجاهدين داخل المدينة وكشف مواقع الثكنات[7].

قاد المجاهد الحاج لخضر مع بوشمال إبراهيم وبوستة مصطفى إحدى فرق الهجوم وكان هدفهم ثكنة الصبايحية، تم الهجوم على الثكنة وقتل الحارس

---

[1]) محمد زروال، إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية الولاية الأولى نموذجا، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 81-82.

[2]) علي بعزي: ولد في أكتوبر 1925 بقرية الحجاج قرب أريس، انخرط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1943. ترأس خلية الحزب في قرية الحجاج، بعد اندلاع الثورة شارك في عدة معارك مثل: معركة بعلي ومعركة افري اللبلح. استشهد مع مصطفي بن بولعيد قرب نارة بجبل الأزرق يوم 23 مارس 1956.

[3]) محمد الشريف بن عكشة: ولد في 05 جانفي 1926 بدوار اشمول. حفظ القران الكريم ثم انتقل إلى قرية الحجاج لمواصلة دراسته علي يد الشيخ ميهوبي محمد الدراجي. انخرط في حزب الشعب. كلفه بن بولعيد بتأسيس خلية في منطقة اشمول. بدأ نشاطه الجهادي في منطقة عين التوتة ثم القنطرة وبريكة. رقي إلي رتبة رائد، استشهد في الولاية السادسة في معركة بجبل ثامر قرب بوسعادة مع العقيدين سي الحواس وعميروش يوم 28 مارس 1959.

[4]) محمد العربي مداسي، مغربلو الرمال - الأوراس النمامشة - 1959/1954، ترجمة: صلاح الدين الأخضري، منشورات ANEP، الجزائر،2011، ص 17.

[5]) بلقاسم قرين: ولد في 27 ماي 1927 بسلات بدوار كيمل حوز اريس، حفظ القرآن وتابع دراسته العربية في زاوية سيدي فتح الله على يد الشيخ البشير ورتال، التحق بالثورة وكان من ضمن الفوج الذي نفذ العمليات بمدينة باتنة برفقة الحاج لخضر ومصطفى بوستة... استشهد يوم 28 نوفمبر 1954 قرب ثنية الرصاص بوادي عبدي.

[6]) محمد زروال، إشكالية القيادة...، مرجع سابق، ص،84.

[7]) محمد العربي مداسي، مرجع سابق، ص 19.

وتمكنوا من مخزن البارود، وأثناء انسحابهم أطلق أفراد المجموعة النار فقتلوا الجندي بيار أوديات والضابط أوجين كوهي[1].

بعد اندلاع الثورة المسلحة وظهور التنظيم الجديد باسم جيش التحرير الوطني تشكلت أفواج عسكرية في مدينة باتنة يشرف عليها مسؤول البلدة الذي كان يتلقى الأوامر من المسؤول العسكري، من بينهم الحاج لخضر الذي كان يصدر الأوامر والذي أوكلت له مهمة تسيير منطقة باتنة وضواحيها مثل جبل الشلعلع وجبل وستيلي[2]، إذ كان يشرف علي العمليات العسكرية والعمليات الفدائية بالإضافة إلى إنشاء الكازمات[3].

**3/ جهاد الحاج لخضر العسكري في جبال الأوراس وأهم العمليات العسكرية:**

بعد تفجير الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 تحول نشاط المجاهد الحاج لخضر العسكري من مدينة باتنة وضواحيها إلى المناطق الجبلية متنقلا ما بين جبال بلزمة وجبال وستيلي وجبال شليا... وتولى عدة مناصب عسكرية في جيش التحرير، وشارك في عدة عمليات ومعارك من بينها:

**ا/ معركة خنقة معاش قرب فم الطوب 8 نوفمبر 1954:**

وقعت المعركة بمنطقة «فم الطوب»[4] على الحدود بين ولايتي باتنة وخنشلة، خاضها مجموعة من المجاهدين ضد المستعمر بقيادة ناجي نجاوي وشارك فيها عدة أفواج من جيش التحرير:

---

[1]) محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، دار موفم، الجزائر، 1994، ص 18.

[2]) جبل وستيلي: يقع جنوب ضواحي مدينة باتنة.

[3]) سماح بوقلولة، مقابلة مع المجاهد إسماعيل عزيز، يوم 29/12/ 2014 بباتنة من الساعة 09.00 إلى 11.00.

[4]) فم الطوب: هي قرية تابعة لمنطقة آريس وعرش التوابة.

- فوج يقوده عباس لغرور.

- فوج بقيادة محمد شريف بن عكشة.

- فوج بقيادة الحاج لخضر.

- فوج محمد نجاوي.

- فوج محمد فروجي والطاهر نويشي والصادق شبشوب[(1)].

جلب الجيش الفرنسي إلى هذه المعركة قوات عسكرية كبيرة إلا أن المجاهدين استطاعوا أن يلحقوا بالجيش الفرنسي خسائر بشرية ومادية فادحة في الأرواح تفوق 150 قتيلا وجريحا كما أسقطوا طائرة "الكشافة PIPER" التي كانت تقوم بالاستطلاع وكشف مواقع المجاهدين وتحدد الأهداف للمدفعية والطائرات المقنبلة[(2)].

دامت المعركة 3 أيام كاملة، وأدت إلى استشهاد عدد من المجاهدين 12 شهيد وجرح قائد المعركة ناجي نجاوي الذي فقد عينه اليمنى. وكرد فعل انتقامي، لم يمر أسبوع على الواقعة، حتى قام الجيش الفرنسي بترحيل سكان دوار إشمول ودوفانة نحو المحتشد، بعدما أحرقت منازلهم، ومس الترحيل قاطني قرى فم الطوب، إينوغيسن، أريس، تيغانمين وإشمول[(3)].

[1]) صادق شبشوب: ولد بقرية اينوغيسن، جند لعدة سنوات في الجيش الفرنسي، بعد تسريحه من الجيش أصبح مسؤولا في مصلحة الطرقات، حدث شجار بينه وبين المسؤول الفرنسي فتدخل الفرنسي للقبض عليه ففر واعتصم بالجبل وتمرد على فرنسا وأصبح من الخارجين على القانون، شارك في عدة معارك أثناء الثورة التحريرية، استشهد بتاريخ 1961/10/21 بمشته أمصدور بتاكسلانت.

[2]) عمار ملاح، مصدر سابق، ص 177.

[3]) سامي حباطي، نوفمبر القصة.. مجاهدون وباحثون في التاريخ يستعيدون فصولا من الثورة، جريدة النصر، 2017/10/31.

قاوم الحاج لخضر مع بقية المجاهدين الجيوش الفرنسية بكل قوة وشجاعة واستطاعوا أن يقضوا عليهم بالرغم من قلة الأسلحة والذخيرة في الأيام الأولى من اندلاع الثورة التحريرية.

قاد المجاهد الحاج لخضر العديد من العمليات والمعارك من بينها:

**ب/ عملية سريانة 3 نوفمبر 1954:**

عملية سريانة التي استهدفت ضيعة المعمر "بوزو" والتي شهدت سقوط أول شهيد في المنطقة الأولى الأوراس وهو أحمد مزوج المدعو عمر أقرور، ونتيجة لذلك وجهت له فرنسا رفقة بقية المجاهدين تهمة تكوين جماعة أشرار والقتل العمدي، ومحاولة تخريب مبان بواسطة متفجرات، وقام الجيش الفرنسي بحملة تمشيط وبحث عن الحاج لخضر مصحوبة بحصار كبير سنة 1955على مستوى مدينة باتنة وسريانة وعين التوتة والمعذر ومروانة من أجل الإتيان بالحاج لخضر، لكن باءت كل جهودهم بالفشل[1].

**ج/ معركة جبل الرفاعة 19 إلى 21 سبتمبر 1958:**

وقعت هذه المعركة والتي صادفت تأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية في جبال الرفاعة بنواحي منطقة مروانة بالمنطقة الأولى، بقيادة الضابط الثاني عمار عشي، وبصحبة قادة الكتائب: الضابط محمد الصالح بالعباس والعمري معجوج[2]، وشارك في المعركة قادة الكتائب من الناحية الأولى والناحية الثانية من المنطقة الأولى ومن بينهم الضابط الحاج لخضر والضابط بلقاسم شنوف.

---

[1]) صالح سعودي، الحاج لخضر مواقف بطولية أثناء الثورة وبعد الاستقلال، جريدة الشروق.

[2]) العمري معجوج: في سنة 1930 ولد الشهيد معجوج العمري بن الصالح وجفال مريم، تربى بين أحضان والديه الكريمين اللذين كانا يعتمدان في حياتهما على الفلاحة وتربية المواشي، التحق بمدرسة قرآنية محلية لقراءة القرآن الكريم شأنه في ذلك شأن أترابه من أبناء القرية، فقد تتلمذ على يد الشيخ سي مفتاح مسعودي رحمه الله، حيث حفظ ما تيسر

كان عدد المجاهدين يفوق 300 مجاهد. دامت المعركة من الثامنة صباحا إلى ليلة اليوم الثاني، استخدم الجيش الفرنسي بكثافة الطائرات والدبابات ومدفعية الميدان، كانت خسائر الفرنسيين كبيرة فاقت 200 ما بين قتيل وجريح، أما خسائر المجاهدين الجزائريين فقدرت ب45 شهيدا وعددا كبيرا من الجرحى والأسرى[1].

## 4/ موقف الاستعمار الفرنسي من النشاط العسكري للمجاهد الحاج لخضر وجيش التحرير في جبال الاوراس:

إن المصادر الفرنسية شهدت على أن فرنسا لم تستطع التأقلم مع الوضع الجديد الذي ساد منطقة الأوراس حتى منتصف سنة 1955م، والذي حقق فيه المجاهدون انتصارات عديدة، على الرغم من إجراءات الطوارئ القصوى التي طوقت المنطقة الأولى بأكملها، ويشهد الجنرال "شال" نفسه في تقرير بأن الفترة الممتدة من 1954 إلى نهاية 1956 كانت الهيمنة فيها لثوار

---

له من القرآن الكريم، قرر الذهاب إلى فرنسا سنة 1950 قصد العمل، فاستقر به المقام بمنجم في ولاية سان تتيان، عمل العمري هناك في الغربة لكنه كان حاضرا بفكره وعواطفه الوطنية النبيلة في الجزائر، وأثناء وجوده بفرنسا كان يناضل في حزب الشعب الجزائري، ثم عاد إلى أرض الوطن في حوالي سنة 1953 عاد بعد ذلك إلى فرنسا حتى سنة 1955 التحق بالثورة وكان ذلك في سبتمبر 1955 رفقة المجاهد محمد صحراوي بناحية عين التوتة وقد كانت لهما عدة عمليات عسكرية ناجحة وفي نفس السنة التحق برفيقه الشهيد عزيل عبد القادر الباريكي بجبل بوطالب، فكانت لهما استراتيجية عسكرية متميزة ونادرة في البطولة والتضحية والفداء.

معركـــة استشهاده: في 12 فيفري 1960 بجبل الرفاعة حيث شارك الشهيد العمري معجوج في اجتماع ضم قادة المنطقة الأولى لمدة ثلاثة أيام، وبعد نهاية الاجتماع افترق الضباط بينما بقي الشهيد في قرية الرفاعة رفقة ممرض من عين التوتة ومساعد الفيلق المدعو كدوس (من برج بوعريريج) وكاتب الشهيد العمري معجوج المدعو عمر ومسؤول الفدائيين المسمى بونوارة السعيد (من قرية الرفاعة) برفقة اثنين من الفدائيين سقطوا جميعا بميدان الشرف في معركة طاحنة هرعت إليها عساكر فرنسا من كل جهة منذ الساعة 11 صباحا إلى الساعة الرابعة مساء.

[1]) عمار ملاح، مصدر سابق، ص 192.

الأوراس، فالثورة توسعت بسرعة، ولم تتمكن القوات الاستعمارية خلالها من منع انتشار الثورة ابتداء من جبال الأوراس، والنمامشة أساسا ثم جبال جرجرة، والشمال القسنطيني، والأطلس التلي والصحراوي، وأكد أن الفضل في ذلك يعود إلى السياسة المحكمة لجيش وجبهة التحرير الوطني.

استعملت فرنسا كل الطرق العسكرية والسياسية والحرب النفسية والدعاية للقضاء على الثورة ومفجريها، ومن أبرز هذه الأعمال إنشاء فرق الاستخبارات ومراكز الشؤون الإدارية المتخصصة SAS والتي يتمثل دورها في البحث عن قادة الثورة ومحاصرتهم في المناطق الجبلية من أمثال الحاج لخضر وعلي النمر... ففي فترة 1956 و1958 أقامت فرنسا العشرات من مراكز الشؤون الإدارية المتخصصة شملت منطقة الأوراس من بينها:

مركز إشمول، مركز بوحمامة مركز باتنة، مركز أريس، مركز بوحمار، مركز مروانة، مركز تيمقاد، مركز ثنية العابد....[1]، والذي يتمثل نشاطها في ما يلي:

- التواجد بالقرب من المحتشدات والتربيعات وإقامة أبراج المراقبة والمكاتب الإدارية واتخاذها مكانا متوسطا حتى تكون قريبة من كل الجهات.
- اعتماد المكتب الثاني للجيش الفرنسي في الاستخبارات.

وأكثرت من الامتيازات والإغراءات لتشجيع الراغبين في الانخراط في سلك الموظفين التابعين لهذه الفرق[2].

---

36/ Les archives d’outre Mer, Boite N°6SAS/54.

2) الغالي (غربي) فرنسا والثورة الجزائرية، 1954-1958 دراسة في السياسات والممارسات، د ط، غرناطة، الجزائر، 2009، ص 93.

- تكثيف العمليات العسكرية وتمشيط المناطق الجبلية وقنبلة القرى والمداشر والبحث عن المجاهدين والمتعاونين مع جبهة وجيش التحرير الوطني.

- الاعتماد على تجنيد العملاء وإنشاء فرق الحركى، وقد ركزت عليها كثيرا نظرا للأهمية السيكولوجية، ذلك أنه ليس أشد على النفس من حمل السلاح ضد الثورة، وباعتبار أنهم أكثر معرفة من قوات الاحتلال بعناصر جبهة التحرير الوطني ومجاهدي الثورة.

- أما بالنسبة للمدينة عملت مصالح الجيش على مراقبة الأوضاع ورصد أدق التحركات للجزائريين، وقام ضباط الفرق الخاصة بمسح شامل لكل مناطق الأوراس حول التجمعات السكانية، عدد السكان، عدد البيوت، عدد أفراد العائلة من حيث الجنس والسن والمهنة، وقاموا برسم خرائط توضح كل ذلك حتى المساحة بين البيوت وترقم البيوت حتى يسهل على الجنود مداهمة المنازل المشبوهة[1].

واجهت جبهة وجيش التحرير الوطني السياسة الفرنسية بعدة أساليب أهمها:

- تكثيف العمليات العسكرية في المناطق الريفية والتصدي للجيش الفرنسي عبر المعارك وحرب العصابات والقيام بالعمليات الفدائية في المدن كمدينة باتنة.

- عملت الثورة لمواجهة مراكز الشؤون الإدارية الفرنسية على ضبط الإطار الاجتماعي من خلال سن قوانين مختلفة إدارية تشرف على سير وتنظيم العلاقات العامة والخاصة، فكان المحافظ السياسي يقوم بــ "الاعتناء

---

[1]) عمار (قليل)، ملحمة الجزائر الجديدة، ط 1،ج 2، دار البعث، الجزائر، ص 110.

بعائلات المجاهدين والشهداء، جمع الأموال، تحري سلوك الحركى، تبليغ تعليمات الثورة للمجالس الشعبية"[1].

- كما اعتمدت الثورة أيضا على مجهود رجال الإصلاح في مسألة التعليم وتوعية الشعب الجزائري بقضيته ونضاله الثوري وعلى القاعدة الحصينة التي ساهمت في بنائها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

بالرغم من كل الاستراتيجية التي اتبعتها فرنسا للقضاء علي الثورة وزعمائها في منطقة الأوراس إلا أنها لم تستطع بسبب وجود رجال من أمثال المجاهد الحاج لخضر ورفقائه الذين آمنوا بالنضال الوطني وعاهدوا أنفسهم على تحرير الجزائر.

**من خلال دراستنا لهذا البحث استطعنا أن نستخلص عدة نتائج أهمها:**

- ينتمي الحاج لخضر إلى أسرة فقيرة من ريف الأوراس عايشت الحرمان والأمية بسبب الاستعمار الفرنسي، مما جعله يتأثر بفكر حزب الشعب ويشارك في تيار الحركة الوطنية الاستقلالية ويساهم في التحضير للثورة المسلحة.

- يعتبر المجاهد الحاج لخضر من أبرز رواد الثورة في الولاية الأولى في سنواتها الأولى، قاد معارك كبرى، وواجه قوات العدو بكل ثبات وحنكة عسكرية، والتف حوله المجاهدون الأوائل في مواجهة المخططات العسكرية الفرنسية.

- كانت للمجاهد الحاج لخضر استراتيجية سياسية وعسكرية في إشرافه على المعارك، إذ شارك في عدة معارك كبرى مثل: معركة خنقة معاش

[1]) لخضر (بورقعة)، شاهد على اغتيال الثورة، ط 2، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 165.

1954، وكان ذا بعد نظر تدفعه وطنيته إلى الإخلاص والتفاني في تحقيق أهداف الثورة.

- اعتمد المجاهد العقيد الحاج لخضر على المخطط السياسي من أجل كسب الشعب، وعلى الحرب النفسية المضادة للعدو، وعلى تنفيذ العمليات السريعة عن طريق الهجومات الخاطفة على مراكز الاستعمار الفرنسي.

- انتهجت فرنسا مختلف الوسائل والطرق للقضاء على الثورة الجزائرية ومحاصرة قادتها من أمثال المجاهد الحاج لخضر... فأنشأت المحتشدات لعزل الشعب عن الثورة، وإخضاعه لإجراءات إدارية مكثفة قصد حصاره ووضع يدها عليه، كما مارست الحرب النفسية في محاولة لإفشال عزيمته الداعمة للثورة.

- يعد المجاهد الحاج لخضر نموذجا من الرجال الذين خدموا الثورة التحريرية كقادة ومسؤولين كبار تحملوا كل المشاكل والصراعات التي عرفتها الثورة التحريرية على الصعيد الداخلي والخارجي إلى أن تحقق استقلال الجزائر.

# المجاهد عبيدي محمد الطاهر المدعو (الحاج لخضر)
# قراءة في دوره السياسي والعسكري
# وتصوره لبناء النظام السياسي ومشروع المجتمع

إعداد:

**الأستاذ الدكتور علي أجقو**

جامعة باتنة1 الحاج لخضر

**مقدمة:**

يعتبر الحاج لخضر واحدا من المجاهدين الأوائل الذين فجروا الثورة وساهموا في إنجاحها خاصة في سنتيها الأولى والثانية بعد النجاح الكبير الذي حققته المنطقة الأولى في إخراج الثورة من الأوراس لتندلع في الشمال القسنطيني تحت مصطلح "هجومات 20 أوت 1955". وشخصية الحاج لخضر ودوره قبل الثورة وأثناءها ومواقفه بعد الاستقلال وأسباب انسحابه كلها أمور إما عولجت بسطحية وإما لم تعالج نهائيا خصوصا تصوره لبناء النظام السياسي الجزائري ورؤيته لمشروع المجتمع. هذه مسائل جديرة بالدراسة والبحث لأنه يعتبر الوحيد من صانعي الثورة الأوائل الذين أبدوا رأيهم في هذا الموضوع.

هذه المداخلة، سنحاول من خلالها تسليط الضوء على هذه الشخصية خاصة في ما تعلق بفترة البدايات الأولى للاستقلال.

**1- عوامل تشكيل شخصية الحاج لخضر:**

**- تربيته:**

ولد محمد الطاهر عبيدي - المعروف بالحاج لخضر - بقرية تيقري، دوار أولاد شليح - باتنة سنة 1916، وسط أسرة فقيرة كما هو حال غالبية الأسر الجزائرية في هذه الفترة، ما جعله كبقية أقرانه في قريته كما في بقية القرى الجزائرية يتعلم الاعتماد على النفس منذ الصغر.

وقد امتهن في صباه ومقتبل شبابه، ما تيسر من الأعمال المتواضعة التي كان يوفرها المحيط الأقرب والقريب. مما يعني أن الصبي والشاب

الجزائري في الفترة الاستعمارية كانت تناط به مسؤولياتُ تَحَمُّلِ جُزْءٍ من الأعباء التي تقع على كاهل الأسرة في وقت مبكر.

ومما كان يميزه أنه شديد التدين والتمسك بقيم الإسلام في كامل مراحل حياته.

**- الهجرة إلى فرنسا:**

في سنة 1936 ونظرا لانسداد أفق الحصول على عمل ناهيك عن وظيفة، هاجر إلى فرنسا للبحث عن عمل حيث كانت الفرص متوفرة وأيضا النظرة العنصرية إلى الجزائري كانت أقل حدة: فقد اشتغل أولا في شركة لصنع الأسلاك الشائكة، قبل أن يستقر به المقام في مخبزة تمتلكها سيدة فرنسية في نواحي باريس، ونتيجة لصدقه وأمانته وقيامه بعمله على أحسن ما يرام أصبح مسيرا للمخبزة.

ولتواجده في فرنسا التي كانت تعيش مخاض الحرب العالمية الثانية، واحتكاكه بالمهاجرين الجزائريين بما فيهم الناشطين سياسيا والمنتمين لمختلف الأحزاب السياسية الجزائرية، بدأ تفكيره يتحرر من المصطلح المسيطر على نسبة كبير من المهاجرين الجزائريين والمتمثل في توفير وضمان لقمة العيش إلى المسائل ذات الطابع الوطني خاصة ذات العلاقة بالوجود الاستعماري، ومن بين الناشطين الذين كان لهم تأثير قوي على فكر وتوجه الحاج لخضر الوطني، أحمد الوهراني.

ومع بداية الحرب وبوادر الهزيمة المنكرة التي سوف تعصف بفرنسا وجيشها، بمعنى عدم قدرة جيشها على الصمود في وجه الجيش الألماني الذي كان في يومه الثالث لعبور الحدود الفرنسية في ثالث أهم مدن فرنسا وهي مدينة ليون، وما صاحب ذلك من تدهور الأوضاع الاقتصادية وندرة فرص العمل

نتيجة تحول الاقتصاد الفرنسي إلى اقتصاد حرب، عاد الحاج لخضر إلى الجزائر وبالضبط إلى عين التوتة بباتنة ليوظف ما وفر من مال في امتهان الأعمال الحرة من تجارة وفلاحة.

**- المنفى في تونس:**

كان لتجربة الهجرة إلى فرنسا تأثير كبير على فكر وتفكير ونظرة الشاب عبيدي محمد الطاهر، كما سبق وأن أشرنا، حيث أصبح شديد الحساسية للمواقف الظالمة ومواقف الحقرة خاصة حينما يكون مصدرها المستعمرون مدنيين وعسكريين على حد سواء: فقد تدخل ذات يوم ضد دركي، أهان أمامه بائعا جزائريا متجولا بعربته، فتدخل فورا، ما أدى إلى تطور الأمر إلى شجار مع الدركي، انتهى بالشاب إلى السجن، ثم النفي إلى تونس.

مكث عبيدي الطاهر بتونس نحو أربع سنوات مواصلا اشتغاله بالأعمال الحرة، حيث فتح مقهى مع شريك، وهناك ازدادت علاقته بالناشطين الوطنيين، بالنظر إلى أجواء تونس المناسبة والتي كانت بها جالية جزائرية مهمة من بينها الطلبة، فكان على تواصل بالحركة الطلابية خاصة والتي توطدت علاقاته معها وانفتحت بصيرته على أهمية العلم والتحصيل العلمي، فجسد ذلك في تقديم ما تسمح به ظروفه المادية من مساعدات للطلاب الجزائريين في الزيتونة، سواء كانوا من الباتنيين أو من غيرهم وأيضا بغض النظر عن انتمائهم السياسي، حيث كانت الغالبية منهم باديسيين.

كل هذه العوامل شكلت مرتكزات أساسية تأثر بها عبيدي محمد وأثرت تأثيرا واضحا في بناء شخصيته خاصة في جانبها الوطني وكونت لديه قناعة راسخة بضرورة التحرك في جميع الاتجاهات من أجل الدفع بتغيير الواقع الجزائري.

**2- ملامح النضال الأولى والانخراط المبكر في مرحلة الجهاد:**

تجلت ملامح هذا النضال من العديد من المواقف العملية، لعل أبرزها:

**- استقباله للفارين من أعضاء المنظمة الخاصة بالشرق:**

عند عودته من منفاه، كانت الحركة الوطنية تعيش منعرجا حاسما في مسيرتها النضالية، إذ بدأت تلوح في الأفق بوادر الانتقال بالثورة من طور الفكر إلى طور المشروع، وهنا وجد الطاهر عبيدي نفسه تلقائيا في أتون هذا المشروع واستعداده التام لدعمه بكل ما يملك من إمكانات، كما يشهد على ذلك تكليفه باستقبال الناجين من موجة الاعتقالات التي ضربت قيادة ومناضلي المنظمة الخاصة بالشرق الجزائري بعد انكشاف أمرها للسلطات الاستعمارية، حيث كان في بداية صائفة 1950 في انتظار أحد المناضلين الأوائل وهو مسعود بلعقون عند مدخل باتنة الشمالي، الذي كان بصحبته عدد مهم من المناضلين من بينهم رابح بيطاط وسليمان بن طوبال، وتكررت العملية بعد سنة باستقبال الفارين من سجن عنابة المحاكمين في نفس القضية ومن بينهم يوسف زيغود. لقد وفر الرجل الإقامة والإيواء لهؤلاء الفارين والمتابعين لمدة من الزمن، في انتظار نقلهم إلى جهات أخرى أكثر أمنا كناحية آريس.

**- وضع شاحنته في خدمة النضال الوطني:**

وضع الرجل شاحنته التي يستعملها في التجارة والنقل في خدمة النضال الوطني، حيث لم يتردد في نقل وإيصال جثمان المناضل "محمد شنقل" الذي توفي في سجن عنابة إلى مدينة بسكرة، حينما طلب منه القيام بهذه المهمة.

**- مشاركته في تفجير الثورة:**

بعد عشاء ليلة فاتح نوفمبر، ترأس قائد المنطقة الأولى مصطفى بن بولعيد اجتماعا وسط غابة خنقة معاش، تم خلاله تشكيل الأفواج الأولى

لانطلاق الثورة وتعيين قادتها، كان الحاج لخضر واحدا من بين قادة الأفواج حيث كان فوجه يضم 25 مجاهدا، من بينهم الثائر الأوراسي الشهير قرين بلقاسم. وحدد للفوج القيام بمهمة صعبة ضد هدف عسكري فرنسي سيادي والمتمثل في ثكنة سلاح الدبابات بباتنة. الهجوم على هدف بهذه الأهمية يعتبر تحديا كبيرا مهما كانت محدودية النتائج، لأن الهجوم على هدف مثل ثكنة الدبابات يستوجب تحضيرا استخباراتيا مسبقا كافيا، وتخطيطا ملائما، مع توفير الإمكانيات والوسائل المناسبة المادية والبشرية وهذا مالم يكن بحوزة المجاهدين، حيث المهم في مثل هذه المواقف هو إبلاغ الرسالة إلى من يهمه الأمر، وهذا ما تم تحقيقه؛ فقد شعر القادة العسكريون والمسؤولون المدنيون وفلول المعمرين بقوة إيمان المجاهدين وعزيمتهم وشجاعتهم وقوة تحديهم بمهاجمة ثكنة دبابات بوسائل متواضعة جدا.

وعقب عمليات ليلة الفاتح من نوفمبر عين الحاج لخضر على رأس قطاع باتنة ومقره جبل الشلعلع والذي يغطي جغرافيا مساحة شاسعة تمتد غربا إلى مشارف برج بوعريريج والمسيلة.

وكان على قائد هذا القطاع والذي هو الحاج لخضر ضرورة تنشيط قطاعه، وفي هذا الإطار نفذ عددا من العمليات تمثلت في:

- تخريب سكة القطار ما بين باتنة وبسكرة.

- مهاجمة مزرعة المستوطن "بوزو" بسريانة، وهي العملية التي شهدت سقوط أول شهيد بالقطاع وهو عمر أقرور.

- تصفية المستوطن فياما عصر 14 يونيو 1955، وهو من جبابرة المستوطنين بالناحية.

### 3 - الحاج لخضر وأزمة القيادة بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد:

بعد نحو ثلاثة أسابيع من استشهاد بن بولعيد تقرر عقد اجتماع في "تاغدة"، للنظر في الوضع ومحاولة إيجاد خليفة لقائد المنطقة. وقد حضر الاجتماع 11 مسؤولا، في غياب معظم المناطق الشرقية، بدءا بعاجل عجول وعباس لغرور ولزهر شريط. وبعد مناقشات ماراطونية وخلافات حادة وصلوا إلى اتفاق يقضي بحل مؤقت يتمثل في تعيين قيادة جماعية للمنطقة.

ورغم محاولات عميروش في سبتمبر 1956 إيجاد حل لمشكلة القيادة في الولاية الأولى التاريخية، والذي هو موضوع معقد ومازال إلى حد الساعة يسيل حبرا كثيرا في انتظار حسم هذا الموضوع من قبل المؤرخين، إلا أنه لم ينجح بسبب المعلومات المضللة التي كان يتلقاها وخاصة حول عاجل عجول حسب ما يذكر تابليت وصالح بن فليس، واللذين يذكران أن الحاج لخضر يرجع فشل عميروش في مهمته آنفة الذكر، إلى وقوعه تحت تأثير عمر بن بولعيد وعايسي اللذين قاما بتوجيهه خطأ بشيطنة عاجل عجول باعتباره مصدر مشاكل الولاية.

وبعد محاولة تصفية عجول مساء 19 أو 20 أكتوبر، غضب الحاج لخضر، لأنه كان الشخص الوحيد الذي يحظى بثقته، وبفضله قبل دعوة عميروش لحضور الاجتماع الذي تحول إلى نوع من الإدانة التي ترتب الإعدام. ومن ثمة طلب من عميروش أن يغادر الولاية فورا، تجنبا لردود فعل جنود عجول.. وتطوع لتأمين طريق عودته ومرافقيه إلى غاية جبال بوطالب بالمنطقة الأولى من الولاية.

**4- قيادته للولاية الأولى:**

عرف عن الحاج لخضر أنه كان لا يطلب المسؤولية ولكن تفرض عليه؛ ففي الغالب الأعم كان يفضل إسنادها للمثقفين، حيث كان أول كاتب له هو الشهيد محمد لعموري، كما كان حكيما في حله للمسائل المستعصية وأيضا قدرته وحنكته وطريقة تحكمه في الأمور.

وقد تم تعيينه قائدا للولاية بأمر من محمد لعموري في نوفمبر عام 1958 الذي قال له: "يا عمي الحاج هذا أمر لا بد من تطبيقه". وقد عقد فيما بعد اجتماعا مع سي الحواس وعميروش وبوقرة لتقييم وضعية الولاية بمكان يسمى سرج الغول ما بين الولاية الثانية والثالثة، أما علي كافي فرفض حسب ما ورد في كتاب تابليت وبن فليس، وبعث نائبه أمين خان للاستماع فقط، وبلّغ لمين خان القيادة عن طريق الراديو بكل مستجدات وقرارات الاجتماع، وتم استدعاء القادة الأربعة، لكن بعد استشهاد سي الحواس وعميروش تردد الحاج لخضر في البداية، ثم اتخذ قرار الخروج إلى تونس، في إطار المساعي لتقييم وتعزيز الثورة، وعقد عديد الاجتماعات تحت لواء قيادة الثورة.

ويروى أنه عندما همّ المجتمعون بالمغادرة بعد أخذ القرارات المناسبة، عانق العقيد عميروش الحاج لخضر أمام الضباط والقادة وقال له "أنت يا عمي الحاج "مرابط"، أي وليّ صالح، لن تقتلك فرنسا وستحضر الاستقلال، أما نحن الثلاثة فسننال الشهادة خلال هذه الثورة..".

وبالفعل تحققت هذه النبوءة باستشهاد بوقرة، سي الحواس وعميروش، وعاش العقيد الحاج لخضر إلى ما بعد الاستقلال لسنوات. وبقي الحاج لخضر على رأس الولاية إلى جوان 1959.

وللعلم أنه تعاقب على حكم الولاية كل من: مصطفى بن بوالعيد [أكتوبر 1954 - مارس 1956]، فترة خلاف [مارس 1956 - ديسمبر 1956]، محمود الشريف [ديسمبر 1956 - ديسمبر 1957]، محمد لعموري [ديسمبر 1957 - أفريل 1958]، أحمد نواورة [أفريل 1958 - نوفمبر 1958]، محمد الطاهر عبيدي [نوفمبر 1958 - جوان 1959]، مصطفى مراردة [جوان 1959 - ماي 1960]، علي سوايعي [ماي 1960 - فبراير 1961]، الطاهر زبيري [فبراير 1961 - يوليو 1962].

**5- موقفه من أحداث صائفة 1962**

كان ولاء قائد الولاية الأولى محسوبا لجماعة كريم بلقاسم ثم الحكومة المؤقتة لاحقا وذلك لعلاقة الحاج الوطيدة بقيادة الولاية الثالثة في عهد كل من السعيد محمدي وعميروش، وبعد احتدام الصراع بين الحكومة المؤقتة وجماعة المكتب السياسي بتلمسان، شكل العقيد الطاهر الزبيري مجلس ولاية جديد ما لبث أن انحاز إلى صف هيئة الأركان، غير أن هذا لم يمنع الحاج من الحفاظ على ولائه لكريم بلقاسم والحكومة المؤقتة، حتى آخر لحظة اجتماع مجلس الثورة بطرابلس في دورته الأخيرة (مايو ـ يونيو 1962).

وأثناء استفتاء تقرير المصير عـاد إلى الجزائر واتصل بابن بلة الذي انشغل عن استقباله في البداية، لكن لاحقا أعلن ولاءه لمجموعة المكتب السياسي بتلمسان، وتكرس ذلك رسميا بانتخابه نائبا في المجلس التأسيسي ابتداء من 20 ستبمر 1962.

**6- انسحابه من الحياة العسكرية والسياسية:**

الحاج لخضر كان من الذين يعتقدون أن السلطة بعد الاستقلال ستؤول إلى من صنعوا الثورة في الداخل، لكن بعد الاستقلال حدثت أزمة صائفة 1962 والتي كادت أن تحرق الأخضر واليابس، مما وَلَّدَ لدى الحاج لخضر كما لدى الكثيرين من صانعي الثورة ومجاهديها الإحساس بالمرارة وخيبة الأمل، حيث وجد نفسه يغرد لوحده بعد أن التزم كثير من رفاقه الصمت ورضوا بما قدم لهم من مسؤوليات، مما أسهم في تهميش الجبهة. وكان ذلك أحد أسباب انسحابه من الحياة السياسية والعسكرية وتفضيله الانخراط في النشاط المجتمعي والأعمال الخيرية، كما يؤكد ذلك شخصيا، حيث يقول وبتعبيره: "حينما لم نجد من يقاوم معنا انسحبنا".

واختصارا يمكن إعادة انسحاب الحاج لخضر إلى:

- تهميش الجبهة ورجالاتها.
- تسريح المجاهدين وعدم دماجهم في المؤسسات العسكرية والأمنية للدولة.
- الفردانية والتسلط والفرعونية.
- إعطاء السلطة لمن لا يستحق.

**7- تصوره لبناء النظام السياسي ومشروع المجتمع:**

**- بناء النظام السياسي:**

من بين الأمور التي أثارت اهتمامي وأنا أبحث عن معلومات حول الحاج لخضر، رغم شحها الواضح، أنه كان شديد الوضوح فيما تعلق ببناء النظام السياسي الجزائري ومشروع المجتمع، حيث عبر عن ذلك في أكثر من

مناسبة، حيث يرى أن نظام الحكم يجب أن يقوم على المرتكزات والمبادئ التالية:

- الإيمان بأن الجزائر أمانة الشهداء وهي ملك لكل الجزائريين.

- استمرار حكم الجبهة وأي تهميش لها لا يخدم مصلحة البلاد.

- الدولة القوية العادلة، ويقصد بذلك عدم التهاون في الضرب بيد من حديد مع كل من لا يحترم قوانينها وقرارتها، بمعنى إضعاف هيبتها.

- القيادة الجماعية القائمة على الحوار والتشاور بعيدا عن الاستفراد بالقرارات خاصة المصيرية، وهو ما يعبر عنه بالابتعاد عن "الفرعونية" أو "رحمة الإنسان الواحد" والتي يعني بها الدكتاتورية في الحكم وفي التسيير وفي تولي المسؤوليات والوظائف، وربما هو يشير هنا إلى إقدام الرئيس أحمد بن بلة على الجمع بين سبع مسؤوليات: رئيس الدولة، رئيس الحكومة، وزير الدفاع، وزير المالية، وزير الخارجية، وزير الإعلام، ومسؤول الحزب.

- إسناد المسؤوليات لمن قاموا بالثورة ومارسوا العمل الثوري ممن تتوفر فيهم الطهارة، النزاهة، الإخلاص، والشجاعة وتغليب مصلحة الجزائر والثورة على ما سواها.

- تبني النهج الاقتصادي القائم على تثمين قيمة العمل، المبادرة الفردية، المنافسة الحرة.

- تهيئة جيل من الشباب المتعلمين والمثقفين والمتشبعين بالقيم الوطنية وقيم الثورة لتحمل المسؤوليات والوظائف خلفا لجيل الثورة لأنهم الأساس لمستقبل البلاد.

**مشروع المجتمع:**

المشروع الذي تصور الحاج لخضر وضعه للمجتمع الجزائري بعد الاستقلال يأخذ بعين الاعتبار الأمور التالية:

- الحفاظ على نهج الثورة وحماية الوطن وتوحيد أبنائه.
- احترام مبادئ وقيم الثورة الأصيلة من دين ولغة وتاريخ وتراث.
- إدماج المجاهدين في المؤسسات العسكرية والأمنية للدولة.
- العدالة.
- التضامن.
- الكفاءة معيار تولي الوظائف والمسؤوليات.
- احترام المبادرة الفردية.
- التنافسية.
- احترام العمل.
- محاربة التواكل.
- تشجيع التعليم والعلم.
- احترام المتعلمين والمثقفين.

**8- تفرغه للعمل الخيري:**

لما رأى أنه كمن يصرخ في الصحراء، ولما رأى أن رفاقه في الجهاد قد التزموا الصمت، انسحب من الساحة بمرارة وانخرط بحماسة في النشاط المجتمعي والعمل الخيري، فقام سنة 1980 بتأسيس جمعية إسلامية بهدف تأسيس مركز إسلامي، فكان المعهد العالي للعلوم الإسلامية الذي ألحق آنذاك بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، ثم أعيد إلحاقه بجامعة باتنة لاحقا، وقد بني

المعهد والمسجد على أرض مطار عسكري أيام الاحتلال الفرنسي تنطلق منه الطائرات للقصف حيث قال في هذا الصدد: "هذا المكان الذي جعلته فرنسا جحيما تقصف منه الجزائريين، أنا سأقصفها انطلاقا منه، ولكن بالعلم".

لأنّ المكان الذي اختير لإنشاء المركب الإسلامي، كان على أيام الاحتلال الفرنسي مطارا عسكريا تنطلق منه الطائرات الفرنسية لقصف مناطق باتنة وما جاورها. وظل ساهرا وراعيا لهذا المشروع الكبير إلى أن فارق هذه الحياة.

**استنتاج:**

كان الحاج لخضر مجاهدا صادقا ومواطنا صالحا متدينا، إلى جانب كونه مناضلا وطنيا وفيا لوطنه، وقد عرف عنه تميزه بالجرأة وعدم المجاملة حيث قال للرئيس الشاذلي بن جديد أثناء زيارته لباتنة: "سيادة الرئيس، الجزائر ليست مثل الدول الإفريقية الأخرى، إذا تخدم الجزائر فأنا وراءك، أما إذا انحرفت عن هذا الطريق فسأكون أول من يقاومك".

وكان من جهة أخرى قوي الشخصية صعب المزاج صادق القول والفعل، فلم يتوان في تطبيق عدة أحكام بالإعدام للحفاظ على الاستقرار، وعاقب أحد جنوده لقتله طفلا فرنسيا صغيرا حيث قال: "صعدنا إلى الجبل لمحاربة الذين رفعوا ضدنا السلاح ولم نصعد لقتل النساء والأطفال والأبرياء". وكان يكره الظلم ونصيرا للمظلومين، يعزف عن تولي مناصب القيادة ويرى أن دور الشباب في خدمة الوطن هو طلب العلم.

كما كان له تصور جد متقدم فيما تعلق ببناء النظام السياسي ومشروع المجتمع الذي تم فرضه في بداية الاستقلال والذي أبدى انزعاجه منه، نظرا لعدم أخذه بعين الاعتبار خصوصيات الجزائر وثورتها، وأيضا كونه نهج لا يثمن قيمة العمل ولا يحترم مبدأ المبادرة الفردية، ومن ثمة تنبأ بفشله، وهذا ما حدث بالفعل.

ملاحظة: للبحث مراجع

# فهرس الموضوعات